

موقع حلبة التاريخ  
تأسست

عبد المؤمن بن علي

مؤسس دولة الموحدين



## الفصل الأول المولد والنشأة

يتصل نسب عبد المؤمن بن علي بقبيلة « كومية » التي تعتبر إحدى بطون بني فاتن الذين يجتمعون بدورهم مع قبيلة زناتة في ضرى ابن زجيك من سلسلة البربر البتر .

ولد عبد المؤمن بن علي في قرية صغيرة تسمى « تاجرا » تقع بالقرب من مدينة « ندرومة » وعلى بعد ثلاثة أميال من مرسى هنين ، وسط منطقة غنية بالغابات ، وهي تشبه الحصن في الجبل الذي يشرف على « هنين » من الناحية الشرقية .

يقول عبد الواحد المراكشي موضحا تاريخ ميلاده « كان مولده في آخر سنة 487 . في أيام يوسف بن تاشفين ، وكانت وفاته في شهر جمادي الآخرة سنة 558 » . فتكون إذا سن عبد المؤمن — حسب رواية هذا المؤرخ — إحدى وسبعين سنة .

© رقم النشر 2192/86

المؤسسة الوطنية للكتاب

الجزائر 1991



أما المؤرخ ابن أبي زرع فانه لم يشر الى تاريخ الميلاد ، بل ذكر  
سنه عند وفاته : حيث : كانت سنة يوم توفي ثلاثا وستين  
سنة .. وقيل أربع وستون ذكره ابن صاحب الصلاة في كتاب  
«المن بالامامة» ويتفق المؤرخون جميعا على أن وفاة عبد المؤمن  
كانت سنة 558 هـ فيكون تاريخ ميلاده — حسب قول ابن  
أبي زرع — سنة 494 أو 495 هـ .

وذكر بعض المؤرخين بأن والده كان يشتغل بالقضاء ، وذا  
دراية بالأدب ، وربما نسب هؤلاء هذه الوظيفة الى  
ولده — تكريما وتشريفا للخليفة عبد المؤمن بن علي الذي  
انقادت له الدنيا — رغبة ورهبة .

وحسب طائفة أخرى من المؤرخين ، فقد كانت مهنته صنع  
الأواني الفخارية ، وقد يكون هذا الرأي هو الأقرب الى الحقيقة  
والواقع .

واختلف المؤرخون في نسبه ، فمنهم من يجعله متصلا  
بالرسول صلى الله عليه وسلم اتصالا وثيقا ، فيربطه بالنبي في  
مضر بن نزار ، ثم ينسبه الى آل البيت عن طريق الأدارسة .  
وفريق آخر ينسبه الى البربر مع ربط اتصاله بمضر بن نزار في  
شيء من ذلك . واكتفى البعض الآخر بانتسابه الى البربر لا  
غير .

فالبندق الذي ينسب عبد المؤمن الى مضر بن نزار يقول :  
«والخليفة رضي الله عنه — من ولد سليم بن منصور بن قيس  
بن عيلان بن مضر جد النبي — صلى الله عليه وسلم —

لاشك في ذلك ، نزل أجداده بساحل تلمسان ، فرارا من بعض  
الفتن بالأندلس .. وجاور بعض مطماطة اخوة زناتة . فنسب  
ولده اليهم بالجوار والحلف هذا مما لاشك فيه عند أهل العناية  
بهذا الشأن» .

ونستخلص من نص البندق — جعل عبد المؤمن عربيا  
مضر يا ، هاجر أجداده من الجزيرة العربية الى الأندلس ، ثم نزع  
جده الأول الذي استقر بالمغرب الأوسط فارا من الأندلس من  
الفتن . ومن ثم جاور بعض قبائل المغرب الأوسط محتما بها ،  
فنسبت ذريته الى البربر بالجوار والحلف .

وحسب رواية عبد الواحد المراكشي — فان عبد المؤمن  
نفسه كان ينفي نسبه الى أهل المغرب ويقول : «لست منهم  
وانما نحن لقيس عيلان بن مضر بن نزار معد بن عدنان ،  
ولكومية علينا حق الولادة بينهم والمنشأ فيهم وهم الأخوال» .

ويؤكد المراكشي على هذا النسب فيقول بأنه «أدرك من  
أولاده وأولاده ينتسبون لقيس عيلان بن مضر» .

وذكر ابن أبي زرع الذي يتبع هذا النسب فيقول : «هو  
أبو محمد عبد المؤمن بن علي بن يعلي بن مروان بن نصر بن  
عامر بن الأمير بن موسى بن عون الله بن يحيى بن ورزايح بن  
صنطور بن ندور بن مطماط بن هود بن مادغيس بن بربر بن  
قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان» .

ويعلق على هذه الرواية السابقة فيقول : «هكذا أثبت نسبة  
جماعة من المؤرخين وتعرض ابن خلدون الى هذه النقطة في هذه



العبارة : « ويذكر بعضهم أن في خط أبي عبد الواحد المخلوع بن يوسف بن عبد المؤمن ما يدل على أنه مصنوع ، اذ هذه الأسماء ليست من أسماء البربر ، وإنما هي كما ترى كلها عربية والقوم كانوا من البربر » .

## نشأته وطلب العلم :

نشأ عبد المؤمن منذ طفولته محبا للقراءة والدرس ، ألحقه والده بكتاب القرية ( تاجرا ) حيث تعلم القراءة والكتابة ، ثم أخذ في حفظ القرآن الكريم ، وإلى جانب ذلك تعلم بعض العبارات كالصلاة والصوم والزكاة وألم بشيء من السيرة النبوية الشريفة .

ولما كان والده كثير التردد على مدينة تلمسان بحكم تجارته في الأواني الفخارية وكثيرا ما كان يختلف إلى المسجد للصلاة والسماع إلى الدرس . وكان جامع تلمسان في ذلك الوقت مركزا دينيا للعبادة ومدرسة لتعليم الدروس الدينية واللغوية — شأنه في ذلك شأن باقي المساجد الكبرى في العالم الاسلامي — فلاحته له فكرة الحاق ولده بهذا المسجد ليتابع الدرس والتحصيل — هكذا شب عبد المؤمن محبا للعلم والمعرفة يلزم المساجد لتلاوة القرآن . وذكر ابن خلدون من أساتذته بتلمسان ابن صاحب الصلاة وعبد السلام البرنسي . امام عصره في علوم الفقه والحديث والتفسير والكلام » .

وأقبل عبد المؤمن على طلب العلم اقبالا شديدا بروح طموحة وحماس فياض ، وتزود من مواد الدراسة ما يؤهله إلى

الرحلة إلى طلب العلم ، ولما بلغ نحو العشرين من عمره اعتم الرحلة إلى المشرق للدراسة والتحصيل أسوة بمشاهير علماء المغرب في عصره .

## أسطورة لقاء عبد المؤمن بالداعية ابن تومرت

ولكن القدر رسم مستقبله المحتوم اذ التقى عبد المؤمن بابن تومرت على غير موعد . وتبدأ قصة لقاءه بهذا العالم بخروجه من قرية ( تاجرا ) بعد وفاة والده . بصحبة عم له يسمى « يعلو » بقصد السفر إلى المشرق من ميناء « بجاية » فنزلا باديء ذي بدء في بلاد متيجة حيث أقاما بها عدة أيام ، ثم ارتحلا حتى وصلا بني زلدوي .. ووصلا أخيرا إلى بجاية . ونزلا في مسجد « الريحانة » فلما صليا الصبح سمعا الناس يقولون سيروا بنا نحو الفقيه فقال عبد المؤمن : « ومن الفقيه » ؟ فقالوا له : « السوسي » هو عالم المشرق والمغرب وليس كمثل أحد من الناس . وقد سمي ابن تومرت : « العالم السوسي بعد عودته من المشرق » .

« فقال لعمه يا عم سر بنا نحوه ان شاء الله ، ولما وصل الخليفة أرض بجاية وفي الليل قرأ حزبه وصلى ورده في تلك الليلة ثم نام فرأى الرؤيا بعينها الا أن الناس يبائعونه فلما أفاق أعلم عمه بها فقال له أكنتم هذا الأمر فانه رأيت أمك وهي بك حامل كأن النار تخرج منها فتحرق المشرق والمغرب والقبلة والخوف فقال



لها المعبر بتلمسان يا لهذه المرأة من مولود يكون أمره يأخذ  
المشرق والمغرب والقبلة والجوف ، ولكن أكنتم هذا الأمر ولا تعرف  
به انسانا وكذلك قال لي أبوك علي ولقد رأيت في أمرك موعظة  
كنا نخصد الزرع وأملك بك حامل .

فاتجه عبد المؤمن الى « ملالة » رغبة في سماع هذا الأستاذ  
الذي اثنوا عليه لفصاحته وعلمه<sup>(1)</sup> .

وكانت « ملالة » هي البلدة التي لجأ اليها ابن تومرت بعد أن  
طرد من مدينة « بجاية » وهناك انضم في درس السوسي وتم لقاء  
ابن تومرت بالرجل الذي قدر له أن يكون خليفته وأن يصبح  
حامل لواء دعوة الموحدين ومؤسس دولتهم .

ولأهمية هذا اللقاء ندع البيدق يروي لنا قصة هذا  
اللقاء<sup>(2)</sup> على الرغم مما بها من مبالغة وسذاجة ، فهي وثيقة  
تاريخية لشاهد عيان يقول : « لما جد (عبد المؤمن) السير نحو  
الامام ، اجتمع مع الطلبة في طريقه فاصطحب معهم حتى بلغ  
باب المسجد فرفع المعصوم (ابن تومرت) رأسه فوافقه أمامه  
فقال له : ادخل يا شاب . فدخل ، فأراد أن يقعد في جملة  
الناس ، فقال له الامام المعصوم : ما اسمك يا فتى ؟ عبد  
المؤمن . فقال له المعصوم : وأبوك علي ؟ فقال : نعم فتعجب  
الناس من ذلك فقال له : يا شاب من أين اقبالك ؟ فقال له :  
من نظر تلمسان من ساحل كمومية . فقال له المعصوم : من  
تاجرا أم لا ؟ فقال له : نعم فتعجب الناس فقال له المعصوم .

أين تريد يا فتى ؟ فقال : يا سيدي ، نحو المشرق أتمس فيه  
العلم . فقال له المعصوم : العلم الذي تريد اقتباسه بالمشرق قد  
وجدته بالمغرب .

ثم يجلس عبد المؤمن أمام ابن تومرت في درسه برغبة صادقة  
في العلم وبشوق متدفق الى الوقوف على الآراء الحديثة فيه ،  
ويمضي الوقت وينتهي الدرس .

ومهما يكن من اقناع ابن تومرت وسحر بيانه وتأثيره في  
الدرس ، فان ذلك كله ليس كافيا في أن يثني عبد المؤمن عن  
الرحلة الى المشرق ، خصوصا وأن تلك الرحلة الدراسية سوف  
تكسبه علما ومجدا وشهرة وتجعله في مصاف مشاهير علماء  
المغرب آنذاك .

وأدرك ابن تومرت هذه الحالة ، ورأى أنه لكي يجتذب هذا  
الطالب الطموح الذي تتطلع نفسه الى مزيد من العلم والمعرفة  
أن يسلك طريقا آخر لكي يؤثر فيه . ولندع البيدق مرة أخرى  
يروى لنا كيفية استيلاء ابن تومرت علي عبد المؤمن بن علي  
حيث يقول : « ولما هم عبد المؤمن بالانصراف قال له  
المعصوم : تبئت عندنا يا شاب ؟ فقال له : نعم يا فقيه .  
فبات عندنا ، فلما جن الليل أخذ الامام المعصوم بيد  
الخليفة (عبد المؤمن) وسارا فلما كان نصف الليل ، ناداني  
المعصوم ، يا أبا بكر . أرفع لي الكتاب الذي في الوعاء الأحمر  
فرفعته له . وقال لي : اسرج لنا سراجا فكان يقرأه على



الخليفة ، من بعده وأنا حينئذ ماسك السراج اسمعه يقول : « لا يقوم الأمر الذي فيه حياة الدين الا بعبد المؤمن بن علي سراج الموحدين » .

فبكى الخليفة (عبد المؤمن) عند سماع هذا القول .

وقال : يافقيه : ما كنت في شيء من هذا ، انما أنا رجل أريد ما يطهرني من ذنوبي فقال له المعصوم : انما تطهيرك من ذنوبك صلاح الدنيا على يدك<sup>(3)</sup> .

ثم رفع له الكتاب وقال : طوبى لأقوام كنت أنت مقدرهم ، وويل لقوم خالفوك أولهم وآخرهم . أكثر من ذكر الله ، يبارك لك في عمرك ، ويهديك ويعصمك مما تخاف وتحذر . .

وكان (عبد المؤمن) يقرأ على الامام المعصوم ، وكان أفهم الطلبة ، وكان اذا أراد النوم ، يقوم له المعصوم ، ينام من تنتظره الدنيا ؟ فلم يزل على تلك الحال أشهراً .

سلكن لابن خلدون رأي آخر مخالفا تماما لما أورده البيدق ، وملخصه أن عبد المؤمن ابن علي كان طالبا في تلمسان .. أوفد الى ابن تومرت من قبل زملائه الطلبة ليطلب اليه أن يحل محل أحد معلميهم الذي كان قد توفي قبل ذلك بقليل . ومهما يكن من أمر ، فيمكن استخلاص أمرين . وأولهما : أن سمعة ابن تومرت قد أخذت في الانتشار في كل ناحية . وثانيهما : طول مدة اقامته في ملالة لأن وسائل الاتصال كانت بطيئة جدا في ذلك الوقت ، ولكي تنتشر هذه الشهرة بهذه الطريقة ، فان ذلك يحتاج على الأقل الى فترة طويلة .

ومن الصعب جدا معرفة أي الرواية أقرب الى الصواب رواية البيدق المعاصرة بما فيها من مبالغات . أم أن تفسير ابن خلدون هو الأقرب ، لأنه يتمشى والمنطق . ومهما يكن من أمر هذه الروايات ، فان ابن تومرت نجح في اقناع عبد المؤمن عن التوجه الى المشرق في طلب العلم . فماذا يكون البديل في مقابل ذلك المجد الخالد . البديل هو ملازمة عبد المؤمن أستاذه يطلب عليه العلم ويشاركه في الدعوة الى التوحيد والنهي عن المنكر والأمر بالمعروف ببلاد المغرب ، ويقاسمه مرارة الحرمان والمطاردة ، والحرب ضد المرابطين ، ثم فجأة ترشحه الى قيادة الموحدين ليكمل الجهاد ويؤسس دولة جديدة استطاعت أن توحد بلاد المغرب الاسلامي لأول مرة في تاريخ المغرب .

وهكذا قُدِّر للبطل عبد المؤمن أن يسجل في التاريخ أروع صفحات البطولة والمجد .



- 1 — وفي ملالة تركه عمه «يعلو» وعاد الى «تاجرا» ليواصل السير بمفرده الى لقاء ابن تومرت .
- 2 — يروي ابن خلدون سبب خروج ابن تومرت من بجاية وقصة لقاءه بعبد المؤمن فيقول : «ولما دخل ابن تومرت بجاية . وبها يومئذ العزيز ابن الناصر بن علناس بن حماد من أمراء صنهاجة فأغلظ له ولأتباعه في النكير (لارتكابهم المنكر) ، وتعرض يوما لتغيير بعض المنكرات في الطريق فوقعت بسببها هيعة أنكرها السلطان والخاصة ، واثمروا به فخرج منها ولحق بملالة .. وهناك لقيه كبير صحابته عبد المؤمن بن علي» العبر ج 6 ص 467 .
- 3 — هذه العبارة تعتبر من مبالغات البيدق لأن صلاح الدنيا يقوم به المهدي بن تومرت لا تلميذه .

## الفصل الثاني

### دور عبد المؤمن الحربي في عهد ابن تومرت

أصبحت مدينة «تينملل» القاعدة الحربية لاتباع المهدي بن تومرت ، وكانت طاعة المصامدة للمهدي تزداد وتكثر واشتد حبهم له ، وتعظيمه يتأكد من يوم لآخر ، الى أن بلغوا في ذلك الى حد لو أمر أحدهم بقتل أبيه أو أخيه أو ابنه لبادر الى ذلك من غير ابطاء .

وقد ساعدهم على ذلك ما في طباعهم من خفة سفك الدماء عليهم ، وهذا أمر جبلوا عليه ، واقتضاء ميل اقليمهم كما تجمع كتب المؤرخين .

### بداية الصراع بين المرابطين والموحدين

بدأت الدعوة الموحدية تظهر في ثوبها العسكري بعد أن فكر المهدي في القضاء على المرابطين التي هي في نظره دولة بدعة



وخروج عن الدين . وبدأت الاشتباكات الحربية في حياة الزعيم ابن تومرت فيذكر المراكشي أنه « لما كانت سنة 517 هـ جهز جيشا عظيما من المصاورة جلهم من أهل تينمل ، مع من انضاف اليهم من أهل سوس ، وقال لهم : أقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الذين تسموا بالمرابطين ، فادعوهم الى اامة المنكر ، واحياء المعروف ، وازالة البدع ، والاقرار بالامام المهدي المعصوم ، فان أجابوكم فهم اخوانكم لكم ما لهم وعليهم ما عليكم ، وان لم يفعلوا فقاتلوهم ، فقد أباحت لكم السنة قتالهم » .

وأمر على الجيش عبد المؤمن من يومئذ استحق اسم امرة المؤمنين .

وأما غزوات الموحدين قبل خلافة عبد المؤمن فقد كانت تسع غزوات ، حيث أثبت البيدق مؤرج المهدي بن تومرت هذه الغزوات ، وكان لها دورها التاريخي والتأسيسي في حركة الموحدين ، يقول البيدق : في الغزوة الأولى : أعلم أن أول غزوة غزاها المعصوم . غزاة يقال لها « تاودزت » وكان جمع المعصوم مع الحشم ، وكان قائدهم (أي قائد المرابطين) يدعى « بيتان بن عمر » فلما تصنفت الصنوف نظر الناس للمعصوم فقال : لا تفرعوا فانهم هاربون . وكذلك كان فعلهم انما كان هروبا .

ويعلق د . عبد الله علام على البيدق فيقول : نرى أن البيدق يثبت للمهدي معجزة الأخبار نتيجة المعركة قبل وقوعها ،

ويعصور المرابطين كفارا . والموحدين مؤمنين ، وقد منحهم الله نصرا مبينا لأنهم جنود الله أبطالاً ، ولكن السر في هذه المعركة ، أن السلطان علي بن يوسف عين « بيتان بن عمر » على هذه الحملة الأولى ليلتقي بابن تومرت ويتفق معه على الصلح وحده الى السلطان حقنا لدماء المسلمين ، إذ كان بيتان هذا صديقا حميما لابن تومرت ، وآواه وحماه وهياه للهروب الى قومه دون أن يعرضه وهو بمراكش ، فقد حمل بيتان ابن عمر المهدي الى بيته لأدنى أذى ، والسلطان الصالح التقى يعرف هذه القصة ، ولذلك عين هذا القائد لملاقاة صديقه القديم لعله يهديه الى الصراط المستقيم ولكن ابن تومرت لم يكثر بصديقه ، واستغل نكوص جيش القائد « بيتان » وسماه نصرا مبينا للموحدين . ونذكر من هذا التصرف قدر دهاء ابن تومرت الذي أنكر صديقه حتى لا يرمى في أحضان علماء المرابطين بزعماء غريمه « مالك بن وهيب » . كما نذكر طيبة وتسامح السلطان التقى على بن يوسف بن تاشفين الذي كان ضحية عناد علمائه ومكر ابن تومرت (1) .

وكان في بداية الأمر يشارك الزعيم الروحي في الحرب ضد المرابطين ، كما يستشف من هذا النص الذي يتحدث عن الغزوة الخامسة : فلما التقى الجمعان . قاتلناهم قتالا شديدا ، وقتلونا كذلك حتى سقط فيها المعصوم وورد عليه كثير من الناس حتى قام ، وانهزم المجسمون بفضل الله ورحمته . ومعنى ذلك أن المهدي ابن تومرت كان يشارك في الحرب بنفسه عكس ما كان



يراه الأستاذ إبراهيم حركات في تاريخه<sup>(2)</sup> .

وقد يكون الأمر صحيحا بعد الغزوة السابعة التي تضرر فيها المهدي وهي غزوة هسكورة التي شبح فيها وجهه . وبعد هذه المعركة ، لا نرى البهدي يشير الى اشتراك ابن تومرت في القتال بنفسه . فلعل أتباعه أقنعوه بالابتعاد عن الحرب ، حتى تظل الدعوة الموحدية قوية بوجوده ، وحتى ينفرد للتفكير في الأسلوب الحربي الذي ينبغي أن يتبعه الموحدون ، ثم يكلف من يعين من أتباعه بتنفيذها . وهذا المفهوم للسياسة الحربية كان أكثر ملائمة للموحدون . وأكبر فعالية لنجاح مهمتهم في مشاركة المهدي المباشر في المعارك .

ولذلك كان المهدي دائما يكلف عبد المؤمن والبشير وأبا حفص بمساعدته في هذه المهمة ، وكان يكرر على الموحدون : « لا تهبطوا للوطأ واتركوهم يصعدوا اليكم »<sup>(3)</sup> أي لا تنزلوا من الجبل الى السهول ودعوا العدو يصعد اليكم ففي هذا الأمر حكمة مهمة من حكم الحرب ، وخدعة من خدعه .

ومما سبق يتضح أن معركة « البحيرة » كانت بقيادة محمد البشير . الذي سيليقي حتفه فيها ، كما سنوضح فيما يأتي :

## معركة البحيرة ووفاة المهدي بن تومرت :

منذ سنة 524 هـ أخذت هذه الاشتباكات تأخذ طابع الصدام المسلح مع جيش المرابطين ، وفي هذا التاريخ جهز

المهدي بن تومرت جيشا جوارا من الموحدون ، ووجهه الى مراكش عاصمة المرابطين ، وقال لهم : اقصدوا هؤلاء المارقين المبتلين الذين تسموا بالمرابطين ، فادعوهم الى إيمان المنكر وأحياء المعروف .. الخ .

خرج جيش الموحدون الى مدينة مراكش في أربعين ألفا ، فوصلوا الى موضع اسمه « البحيرة » يقع في ظاهر مراكش . بقيادة محمد البشير . فخرجت اليهم جيوش المرابطين بقيادة الزبير بن علي بن يوسف من باب ايلان ، ونزل المرابطون قريبا من معسكر الموحدون ، فدعاهم عبد المؤمن الى دعوة ابن تومرت ، وحاول قائد المرابطين أن يحذر عبد المؤمن من عاقبة الخروج من الجماعة والفتنة ، فزاده ذلك طمعا في المرابطين ، واشتبك الجيشان في معركة عنيفة انتهت بهزيمة الموحدون ، ومهما يكن من شيء ، فإن معركة « البحيرة » تعتبر بحق أعنف المعارك الصراع بين المرابطين والموحدون في حياة المهدي . كما تعتبر أيضا أعظم موقعة خسر فيها الموحدون ، فقتل عدد كبير من بينهم أبو عبد الله الوانشرسي وسليمان أحضري ، وأبو عمران موسى الجدميوي وقائد جيشهم « محمد البشير » الذي قام قبل دخله المعركة ، بعملية غير انسانية ، وهي عملية التمييز بين جنوده فقتل كل من كان يشك في إخلاصه ، قبل المعركة .

ونجا عبد المؤمن بن علي في نفر من أصحابه وقد أصيب بجرح عميق في فخذه الأيمن . فلما وصل الخبر الى المهدي



قال : أليس قد نجا عبد المؤمن ؟ قالوا نعم . قال : لم يفقد أحد<sup>(4)</sup> .

ورغم قوة وعزم وصبر ابن تومرت على الصعوبات ، وقدرته الفائقة على استخدام الأحداث المنشطة من أجل إنجاح أهدافه ومراميه . فانه قد تأثر تأثراً عميقاً بهزيمة الموحدين بالبحيرة وبموت البشير ، فقد أحس ابن تومرت بالمرض بعد أربعة شهور من واقعة المرابطين بالموحدين سنة 524 هـ فلزم داره بتينملل ولم يخرج منها الا الى قبره في المسجد الملاصق لداره ، حيث دفن به سرا في 29 رمضان سنة 524 هـ . وكنتم أصحابه نبأ وفاته ثلاث سنوات ، قام الموحدون خلالها بشن الغارات على المرابطين ، ثم أعلنت وفاة المهدي رسمياً سنة 527 هـ . وقام بأمر الموحدين ، عبد المؤمن بن علي في هذه التاريخ بفضل ثلاث أشياخ .

من الموحدين ، هم : عمر أصناج وعبد الرحمن بن زجو ، وأبو ابراهيم اسماعيل الهزرجي من أهل الجماعة<sup>(5)</sup> ليقود المرحلة الثانية في الصراع بين المرابطين وبين الموحدين التي انتهت بسقوط دولة المرابطين وقيام دولة الموحدين . بعد سنوات من الصراع الدامي بين القوتين .

- 1 — عبد الله علام . الدولة الموحدية بالمغرب ص 77 .
- 2 — ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ المجلد الأول دار السلم بالدار البيضاء . ص 262 .
- 3 — ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، طبعة فاس . ص 125 .
- 4 — عبد الواحد المراكشي . المعجب في تلخيص أخبار المغرب . ص 913 .
- 5 — البيدق . أخبار المهدي بن تومرت . ص 133 .



## الفصل الثالث

النشاط السياسي والحربي للخليفة عبد المؤمن بن علي

### 1 — خلافته بعد ابن تومرت :

بايع القوم عبد المؤمن ، ودعا لهم ابن تومرت ، ومسح وجوههم وصدورهم واحدا واحدا . ونعتقد أن هذا الاستخفاف كان على قيادة الجيش فقط — لأن ظروف الموحدين خرسا آنذاك — كانت في حاجة الى قائد محنك — خصوصاً عقب وفاة قائد الجيش الموحي « محمد البشير » في معركة « البحيرة » التي زعزعت أركان الدعوة الموحدية . فما كان من ابن تومرت — وقد أعجزه المرض ، إلا أن يحدد لبقائه بالدعوة ويقوي عزائمه فقال مخاطباً إياهم : « ... » واختلاف الكلمة وشتات الآراء ... » وبذلك تكتمل الصورة



تومرت عبد المؤمن أميرا للجيش من أهم مبايعة الموحدين اياه للخلافة بعد وفاته .

وحسب قول المراكشي ، فان عبد المؤمن بويع بيعة واحدة بالخلافة كانت عقب وفاة المهدي بن تومرت مباشرة أي ( سنة 524 هـ ) . الا أن أغلب المؤرخين يذكرون لخلافة عبد المؤمن بيعتين ( الخاصة والعامة ) ومن بين هؤلاء المؤرخين ابن صاحب الصلاة في كتابة « المن بالامامة » اذ يقول : « لما توفي ( المهدي ) رضي الله تعالى عنه كتم أصحابه وفاته . وما كان يعلمها الا أهل الدار ، وهم خدمه وأخته ثم أكابر أصحابه الذين بايعوا سيدنا ومولانا الخليفة الأول أمير المؤمنين في الحين بيعة السر رضي الله تعالى عنه »<sup>(1)</sup> .

ولما كانت وفاة المهدي سنة 524 هـ فان مدة كتمان وفاته وبيعة السر ظلت ثلاث سنوات ، ونستخلص من كلام ابن صاحب الصلاة وابن خلدون أن عبد المؤمن بويع البيعة العامة في سنة 527 هـ .

هكذا بايع عبد المؤمن في البيعة السرية ( الخاصة ) أهل العشرة ، المسمون صحابة المهدي فقط . أما البيعة الثانية ( العامة ) بايعه فيها أهل العشرة ثم الخمسون ثم عامة الموحدين .

وبذلك كانت الخلافة من نصيب عبد المؤمن بن علي أحد نلامذته النجباء ، وقد لقي نبأ خلافته ارتياحا في بعض

الجماعات ، مع أنه لم يكن ينتمي الى أي من قبائل الموحدين . لعل عدم انتماء عبد المؤمن الى تلك القبائل هو الذي رشحته للفوز بهذا اللقب الخلافي .

ويزعم بعض المؤرخين أن عبد المؤمن لجأ الى الحيلة في كسب ولاء عامة الموحدين بعد أن استعمل الدهاء في كسب خاصتهم ليعمل الكل على بيعته . فربى أثناء قيامه بالحكم شيلا روضه حتى صار أنيسا كالكلب ودرب عصفورا على أن ينطق بالعربية بهذه الكلمات : النصر والتمكين للخليفة عبد المؤمن أمير المؤمنين سند المملكة وناصرها .

ولما تم تدريب الطائر على النطق بهذه الكلمات نطقا صحيحا ، وروض الأسد على أن يقوم بجميع ضروب الخضوع والطاعة لسيده ، ابتنى عبد المؤمن في ظاهر تينملل قاعة كبيرة ، واتخذ جميع الاجراءات التي تمكنه من استعمال الأسد والطير ، ثم دعا الموحدين وأكابرهم الى الاجتماع وجلس في الصدر في مكان عال ، وقام خطيبا فيهم يخبرهم بوفاة المهدي ويحثهم على الألفة واجتماع الكلمة وحذرهم عاقبة الخلاف ، وأن يختاروا من بينهم رجلا واحدا يولونه الزعامة والسلطان المنطق . وبينما الحضور بين مظاهر الحزن العميق اذ أرسل السدس السدس وصفر خادم للطير المعلم . واذا بناطق ينطق بسند وصبر . كأنما نزل من السماء : « النصر والتمكين للخليفة عبد المؤمن أمير سند المملكة وناصرها » . وفجأة خرج الأسد مرمرا



منفوش الشعر ، مكشرا عن أنيابه رافعا ذنبه وعيناه ، فدعر الحضور وارتعدت فرائصهم ، وبادر عبد المؤمن الى الأسد فأنس اليه في الحال فدهش الحضور وأخذ يعلق يديه في هدوء ولما رأى الموحدون هذه المعجزة لم يترددوا لحظة في اختيار ذلك الذي دعاه الوحي الى الرياسة لهم خليفة وزعيما وبايعوه في الحال على الطاعة وبقي الأسد منذ ذلك اليوم رفيقا لعبد المؤمن مثل الكلب الوفي .

وفي ذلك يقول بعض الشعراء :

انس الشبل ابتهاجا بالأسد ورأى شبه ابيه فقصد  
ودعا الطائر بالنصر لكم فقضى حقكم حين وفد

وان كنا نشك في صحة هذه الرواية السابقة لبعدها عن المنطق والواقع .

ونخلاصة القول أنه بمقتضى البيعة العامة ، أضحي عبد المؤمن خليفة للمهدي وزعيم الموحدين الروحي والسياسي .

## جهود عبد المؤمن الدبلوماسية والحربية

أولا : المرحلة الأولى : الاستيلاء على دولة المرابطين :

كانت مهمة عبد المؤمن بعد أن تولى خلافة الموحدين صعبة للغاية فكان عليه أن يقضي على دولة المرابطين ، ويضم بلاد

المغرب الأوسط والأدنى الى المغرب حتى يصبح المغرب كله تحت حكم الموحدين ، ولم يكن هذا الأمر هينا لاسيما وقد ذق من قبل مرارة الهزيمة حين عزم على مهاجمة مراكش حاضرة المرابطين . هكذا قضى عبد المؤمن وقتا طويلا في محاربة المرابطين في منطقة السوس بالمغرب الأقصى . ولكن يغلب على تلك الحروب أنها حروب قبلية لا ترقى الى مستوى المعارك المنظمة ، وهي أقرب الى حرب العصابات منها الى الحرب المنظمة ، ويبدو أن سياسة المرابطين آنذاك لم تكن تنظر الى حركة الموحدين نظرة خوف ومهابة تدرك أنها خطر يهدد كيانها ولاسيما بعد أن التحقت بهم هزيمة الساحقة في البحيرة دون أن تبذل في ذلك عناء كثيرا .

وركز عبد المؤمن سلطته على الأطلس الكبير بعد القيام بعدة غزوات ، مثل غزوة حصن «تاسغيموت» الذي يقع على بعد 35 كلم جنوبي شرقي مراكش . ثم الغزوة الثانية ضد قبائل هزرجة وهسكورة اللتان رفضتا قبول دعوة الموحدين وهناك غزوات درعة وتارود انت واكليز .

وبعد ما استولى عبد المؤمن على منطقة جبل الأطلس واد غزوة عظيمة استمرت سبع سنوات ( 534 — 541 هـ / 1139 — 1146 م ) وفي هذه الحروب أظهر عبد المؤمن مهارته الحربية بعد أن أخذ عدة من هزيمته الموحدين في معركة «البحيرة» وأدرك أن سر نجاح المرابطين في حروبهم التي يخوضون غمارها في السهول .



لذلك غير أسلوبه الحربي الذي أصبح يعتمد على الجبال الوعرة ، ولأول مرة تبدو هذه الأساليب جديدة غير مألفة من قبل . ولم يخطر بالبال بالنزول إلى السهل . وهذه الطريقة الحربية كانت تناسب حاجات الموحدين وظروفهم العسكرية<sup>(2)</sup> وفي مقابل هذا التكتيك الحربي عند الموحدين ، نلاحظ أن القيادة العسكرية المرابطية وجنودهم لم يغيروا طريقهم الحربية ، فتادروا ما تركوا السهل ، وكان من أسباب انهزام المرابطين اقتصار نشاطهم في أغلب الظروف على المطاردة مع بقائهم على مقربة من العدو للاشتباك معه ، ظنا منهم أن عبد المؤمن سيدخل ميدان المعركة مكشوبا فيعرض نفسه للمهاجمة من طرف فرسان المرابطين . علاوة على أن المرابطين لم تكن لديهم الجرأة الكافية لمواجهة الموحدين في معركة فاصلة تستحق قوات عدوهم .

ولم يفكر عبد المؤمن أثناء سيره في الجبل ، في الاستيلاء على ممتلكات المرابطين ، بل كان يسعى جاهدا لكسب الأنصار لعقيدة الموحدين ، فضلا عن تجنيد المحاربين لخدمة قضيتهم وتحقيق أهدافهم .

وباختصار فقد استعمل عبد المؤمن ضد المرابطين « طريقة التدوير » على تعبير الحروب الحديثة ، وسياسة النفس الطويل .

**فتح تلمسان ووهران :**

في سنة 535 هـ خرج عبد المؤمن في جيش عرمرم غازيا بلاد المغرب الأوسط ، فأطاعته غمارة بشمال المغرب ، وفي أثناء

هذه الغزوة توفي أمير المرابطين « علي بن يوسف » سنة 537 هـ . فخلفه ابنه تاشفين ، ووقع خلاف بين تاشفين ومسوفة من قبائل المرابطين ، فانضمت مسوفة إلى الموحدين . ثم حاصر عبد المؤمن مدينة سبتة ، ولكنها امتنعت عليه فانسحب إلى مغادرتها ، وواصل زحفه شرقا إلى جبال غيثة وبصية فاقحمهما . ثم واصل السير إلى بلاد ملوية حيث تمكن من الاستيلاء على حصونها ، ومن هناك واصل زحفه شرقا إلى بلاد زناتة فأخضعها وأخضع قبائل مديونة .

وبعد انتقال عبد المؤمن إلى « تاجرا » سقط رأسه . دخلت قبائل المغرب الأوسط ( الجزائر ) ضمن دائرة الدولة الموحدية . مما أعطى أبعادا قوية للموحدين . كما أن وفاة أمير المرابطين السابق الذكر ، في هذه الفترة التي وصلت فيها حركة الموحدين أوج قوتها العسكرية ونشاطها الحربي ، ييشر بنجاحها على حساب الأمير الجديد تاشفين بن علي ، الذي توزعت قوته بين المغرب الأوسط والأندلس .

وغادر جيش الموحدين « تاجرا » نحو مدينة تلمسان . حيث نزل بالصخرتين وهي تل يشرف على المدينة من ناحية الجنوب ونزل عبد المؤمن تلمسان في سنة 539 هـ فدخل « الأبرير » ونجح في دخول تلمسان .

ولما أحس تاشفين بن علي بالخطر الذي يشهد له من قبل الموحدين تراجع على أثر ذلك إلى وهران ، فحاصره الموحدين بحصنها



وأشعلوا النيران على باب الحصن ، فحاول تاشفين الخروج بفرسه من الحصن ، وكان الليل ، فتردى به فرسه من حافة الجبل فسقط ، ومات في 27 رمضان سنة 539 هـ — 23 مارس 1145 م . ودخل الموحدون وهران وقتلوا من كان بها من المرابطين ، وبوفاة تاشفين ينتهي دور المرابطين السياسي والحربي .

### فتح فاس :

تطلع عبد المؤمن بعد هذه الانتصارات التي أحرزها الموحدون ، الى فتح مدينة فاس ، فجد السير اليها واستولى على أجر سيف المرمدة . فلما علم يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين المعروف بالصحراوي قائد فاس بقدوم عبد المؤمن ، خرج لمقاتلتهم ، فانهزم الصحراوي ، وتراجع الى فاس . وفي اليوم التالي نزل الموحدون بعدوة سبوني (موضع) يقال له «عقبة البقر» وفي هذا المكان قسم عبد المؤمن جيشه الى قسمين : قسم بقيادة أبي بكر بن الجبر مع صنهاجة وهسكورة ، لحصار «فاس» . أما عبد المؤمن فقد ارتقى مع بقية الجيش جبل العرض . وهناك أمر الخليفة جنوده بقطع الأشجار ، فقطعت ، ثم حملت الى الوادي ، فسد بها ثم أمر بتحويل مجرى النهر الى جهة الأسوار ، وأطلق المياه في المجرى الجديد ، فجرفت المياه باب السلسلة وهدمته ، وغمرت أحياء المدينة فأغرقت عددا كبيرا من دورها .

واضطر القائد المرابطي الى بناء السور المهدم ، فأتم بناءه . وفي هذه الأثناء أرسل عبد المؤمن سرية استطلاعية الى

مكناسة . فخرج اليهم قائدها وقتلهم جميعا باستثناء ثمانية فرسان . فلما علم عبد المؤمن بما حل بجيش الفرقة الاستطلاعية غضب غضبا شديدا وزحف الى مكناس بجيش ضخم أثناء الليل تاركا أبا بكر بن الجبر على حصار فاس . فافتتح أرض مكناس ماعدا تاجرات .

ولما طال الحصار على أهل «فاس» خرج أبو محمد الجياني والي فاس خفية الى أبي بكر بن الجبر ، واتفق معه على أن يفتح له أبواب فاس . وفوجيء الصحراوي في الصباح برؤية الموحدين على السور في 14 ذي القعدة سنة 540 هـ . فر في جماعة من عسكره واحتموا بقلعة آمرجو . الا أن الصحراوي فر الى الأندلس ، فخرج أبو يحيى بن الجبر اليهم وقبض عليهم وأخذهم الى فاس حيث قتلهم .

وهكذا افتتح الموحدون مدينة فاس بعد تسعة أشهر من الحصار . ثم وصل عبد المؤمن الى فاس وأقام بها بعض الوقت . وخلال مدة وجوده بالمدينة الحصينة أمر بسورها فهدم . وقال : اننا لا نحتاج الى سور ، وانما الأسوار سيوفنا وعدلنا فظلت بنا سور حتى عصر الخليفة الرابع «محمد الناصر» الذي أقام سوراً جديداً في سنة 600 هـ . ويبدو من روايات : لبيدق وابن صاحب الصلاة وابن عذارى ، وابن خلدون . أن عبد المؤمن لم يشهد فتح «فاس» اذ كان في هذا الوقت عن رأس جيش الموحدين المحاصر لمدينة مكناس . وروى عن



عبد الله محمد بن الجدميوي «أو» «الكرميوي» يعاونه الجياني في إدارة شؤونها . عاد الى مكناسة بكامل جيشه .

الاستيلاء على مراكش :

توجه عبد المؤمن بجيشه لحصار مكناسة الا أنه لم يمكث «بمكناس» بل عين على حصارها القائد الموحيدي أبا زكرياء بن يومور . واتجه الى مدينة «سلا» التي استسلمت دون مقاومة ، ثم استولى على قصبة الرباط (وكان ذلك في 17 من ذي الحجة سنة 540 هـ) . وعين على سلا والرباط الشيخ عبد الواحد الشرقي .

ثم مضى هو بمعظم عسكره لفتح مراكش حاضرة الدولة المرابطية وآخر معاقلهم الحصينة . وقد أمدت عبد المؤمن قبيلة مسكورة وصنهاجة بعسكر ضخيم ، هبط بهم عبد المؤمن الى وادي أم الربيع ، واستولى على آزمور ، ثم ضم صنهاجة آزمور الى جيشه فسار بهم الى مراكش .

وضرب عبد المؤمن قبته الحمراء (رمز القيادة) فوق جبل الجبل المطلى على مدينته مراكش وأمر ببناء مسجد وصومعة عالية يراقب منهما الأعمال الحربية ثم استقر فوق الجبل وهو يدير شؤون الفتح .

وكان يدرك أكثر من غيره حصانة مراكش التي امتنعت على المهديين واستعصمت عليه نفسه حين أراد اقتحامها في بدء خلافته .

ولكن الحال تغير تماما هذه المرة . فالموحدون يريدون مراكش بعد أن مزقوا قوات الدولة المرابطية في المغربين الأقصى والأوسط وخضعت لهم القبائل ووضعو أيديهم على الحياة الاقتصادية والاجتماعية .

وخرج إليهم جيش المرابطين من مراكش بقيادة اسحاق بن علي بن يوسف وقائدين من قواده وهما محمد بن حواء ، ومحمد بن يانكلا أو «يانجالا» لمقاتلة الموحيدين ، وكان ذلك في 5 من شهر محرم من سنة 541 هـ . فهزمهم الموحدون عند أول لقاء . وتراجع المرابطون الى باب الشريعة .

وكان من أسباب نجاح الموحيدين في هذه المعركة نظام الكمائن المستورة . حتى اذا ما نشب القتال في اليوم الخامس . خرجت الكمائن من مخابئها وأعملت السلاح في رقاب المرابطين على حين غفلة فأوقعت بهم الهزيمة . وغنمت نحو ثلاثة آلاف من خيولهم . وفر من نجا منهم . وضيقوا الخناق واستمر الحصار نحو تسعة أشهر ، حتى نفذت الأغذية ونفقت الدواب ومات كثير من الناس . ولما أيقن عبد المؤمن أن روح المقاومة قد مرت وأن الأعياء بلغ أشده بالسكان المحاصرين . أمر بفتح المدينة . بالسلام . وفي 18 شوال تمكن الموحدون من دخول الأسوار بالسلام . فاقتحموا المدينة ودخلوها وقتلوا عددًا من أهلها ، فامتنع الأمير اسحاق في جملة من رعاياه المعروف بالمعروفة بقصر الحجر ، واستمر الموحدون في حصاره .



وعجز المحاصرون بقياد أبي الحسن بن وجاج الحصي وقبضوا على  
الأمراء والقواد وحاول عبد المؤمن أن يمنع ابن وجاج من قتل  
اسحاق وبعض أبناء الأمراء . من الصبيان فصاح به أبو الحسن  
بن وجاج «ويوا ويوا للموحدين ، أرتد علينا عبد المؤمن يريد أن  
يربي علينا فراخ السبوعة» .

فانسحب عبد المؤمن من المجلس غاضبا ، وتبعه الموحدون  
فيما عدا أبو الحسن والشيخ أبو حفص .

هكذا قضى الموحدون على آخر معاقل المرابطين ، وبسقوط  
مدينة مراكش سنة 541 هـ زالت الدولة المرابطية من المسرح  
السياسي ، وانتهت حرب سبع سنوات ، وأصبح عبد المؤمن بن  
علي سيد المغرب كله .

المرحلة الثانية :

## جهود عبد المؤمن الخارجية

أولا — بلاد الأندلس :

كان عبد المؤمن قد تلقى عند انصرافه من مدينة  
«فاس» لمحاصرة «مراكش» بيعة أهل سبتة له . فولى عليهم  
يوسف بن مخلوف الهنتاتي . الا أن أهل سبتة نقضوا هذه البيعة  
وقتلوا يوسف بن مخلوف الموحد . وجاز القاضي عياض والي  
المدينة السابق ، إلى يحيى بن علي بن غانية المسوفي والي

الأندلس ، فلقية بالجزيرة الخضراء (الأندلس) . ومطت من  
سبتة .

فبعث معه يحيى بن أبي بكر المعروف بالصحراوي ، معه  
بأمر سبتة وتحالف مع القبائل الناقمة على الموحدين  
«برغواطة» و «دكالة» . فحاربهم عبد المؤمن حتى دخلوا في  
الطاعة ثم عاد إلى مراكش بعد أن عفا عن الصحراوي يصف  
المراكشي حال الأندلس في عهد الأمير علي بن يوسف في عهد  
النص بقوله : «فأما أحوال الأندلس ، فانه لما كان آخر دولة  
أمير المسلمين أبي الحسن علي بن يوسف ، اختلت أحوال  
اختلالا مفرطا ، أوجب ذلك تخاذل المرابطين وتواكلهم وميئهم  
إلى الدعة وإيثارهم الراحة ، وطاعتهم النساء فهانوا على أمر  
الجزيرة ، وقلوا في أعينهم ، واجترأ عليهم العدو ، واستولى  
النصارى على كثير من الثغور المجاورة لبلادهم ، وكان أيضا من  
أسباب ما ذكرناه من اختلالها ، قيام ابن تومرت بسوس .  
واشتغال علي بن يوسف به عن مراعاة أحوال الجزيرة .

ولما رأى أعيان بلاد تلك الجزيرة ما ذكرناه من ضعف أسوار  
المرابطين أخرجوا من كان عندهم من الولاة . واستبدوا بهم  
بضبط بلده وكادت الأندلس تعود إلى سيرتها الأولى بعد انقراض  
دولة بني أمية .

وجه عبد المؤمن نظره إلى الأندلس ، فقد ظهر لها ضعف  
ضعف تاشفين ابن علي ، وتوالي الهزائم عليها في المغرب .



الموحدين وأعلنوا الثورات في كل مكان بالأندلس . وزاد هذه  
الثورات قوة بعد وفاته في عام 539 هـ وكان علي بن عيسى بن  
ميمون من بين هؤلاء الثوار فاستقل بقادس سنة 540 هـ . كما  
قام أحمد بن قس الصوفي الثائر في مرتلة فلما استولى أبو محمد  
سدراي على مرتلة أجاز ابن قس الى عبد المؤمن بمراكش في  
سنة 541 هـ .

ورغبة في امتلاك الأندلس سير عبد المؤمن معه جيشا بقيادة  
براز بن محمد المسوفي في شعبان سنة 541 هـ ، ثم أمره بجيش  
آخر بقيادة موسى بن سعيد ، وجيش ثالث بقيادة عمر بن  
صالح الصنهاجي ، فلما عبروا الزقاق ، ونزلوا بالأندلس ، هاجموا  
أبا القمير بن عزوز المنتزي بشريش ورندة ، فدخل في طاعة  
الموحدين ، ثم قصدوا لبلة ثم ساروا الى مرتلة فدخلوها ،  
واقترحوا بعد ذلك شلب وباجة وبطليوس كما انضوت اشبيلية  
سنة 541 هـ تحت لوائهم بعد أن اقتحموها برا وبحرا ثم دخلوا  
دالقة في نفس العام . غير أن بعض تلك المدن سرعان ما نكثت  
طاعة الموحدين ، وهو الأمر الذي اضطر الخليفة عبد المؤمن بن  
علي الى ارسال جيش كبير اليها بقيادة يوسف بن سليمان ،  
فنزل يوسف باشبيلية التي اتخذها الموحدون حاضرة لهم في  
الأندلس ، وتمكن هذا القائد من بسط نفوذ الموحدين على  
بطليوس وشتتمرية وقادس وشلب ولبله ، ثم دخلت قرطبة  
وجيان في طاعة الموحدين سنة 543 هـ . ولم تخل  
سنة 545 هـ حتى كان رؤساء الأندلس الذين كانوا أعلنوا

ثوراتهم على المرابطين واستقلوا بمدينهم قد بايعوا عبد المؤمن في طاعته .

حاول الموحدون استرجاع المرية في سنة 546 هـ وحاربوها  
ولكنهم فشلوا في تحريرها من النصارى بسبب حصانة أسوارها .  
ورغم ذلك فقد نجحوا في الوصول الى المرسي وحرقوا السفن  
والأجفان الراسية به .

وفي سنة 549 هـ تغلب الموحدون على غرناطة بعد أن  
خرج منها ميمون بن بدر اللمتوني ، وتوطد نفوذهم في جنوب  
الأندلس .

وأمر عبد المؤمن ولده أبو سعيد عثمان والي الجزيرة ومالقة  
وغرناطة بمحاصرة المرية برا وبحرا ، وتخليصها من النصارى ، فتقدم  
أبو سعيد الى المرية للجهاد بصحبة أخيه أبي حفص ، واستعمل  
الموحدون المنجانيق على القصبة بعد أن احتلوا المدينة حيث  
ضربوا عليها حصارا شديدا ، فاستصرخ النصارى ملكهم  
الفرنسيو السباع فأقبل الى نصرتهم على رأس جيش من 12 ألف  
مقاتل وانضم اليه حليفه بن مردنيش في قوة من 6 آلاف  
مقاتل ، فطلب أبو سعيد المرد من الخليفة في مراكش وأرسل  
اليه القائد الكاتب أبا جعفر بن عطية ومعه الأمير أبو يعقوب  
يوسف ابن عبد المؤمن والي اشبيلية فازدادت قوة الموحدين  
فانسحب ابن مردنيش ووالي عسكري الفرنسي الأندلسي  
خلا الجو للموحدين فشدوا الحصار عن القصبة حتى سقطت



في أيديهم في سنة 552 هـ وبذلك استردوا المرية القاعدة البحرية الشهيرة بالأندلس .

وفي سنة 555 هـ . أمر عبد المؤمن بن علي ولده أبا سعيد عثمان ببناء جبل الفتح وتحصينه ، وتم بناؤه على يدي الحاج يعيش المهندس .

وبهذه المناسبة جاز الخليفة عبد المؤمن من طنجة الى الأندلس ، فنزل بجبل الفتح ومكث هناك شهرين أشرف خلالها على شؤون الأندلس . وقدمت عليه أشياخها وقوادها لتحيته . ثم أمر بغزو غرب الأندلس . ولم يلق الموحدون كبير عناء في السيطرة على غرب الأندلس وجنوبها ووسطها ، ولم يتمكنوا من السيطرة على شرقها الا في عهد الخليفة أبي يوسف بن عبد المؤمن .

وكان أهم خطر يهدد أهل الأندلس يتمثل في حلفاء النصارى ابن مردنيش وابن همشك .

وسوف تكون جولات الموحدين في الأندلس في عهد خلفاء عبد المؤمن قوية وحسبنا ما وصلت اليه الأندلس في عهد عبد المؤمن بن علي الذي كان النصارى يتجنبون الصدام به ، نظرا لقوته وشدة تطلعه الى تطهير الأندلس من أمراء لهم ميول نحو النصارى ، أنفسهم الذين حاربوا المسلمين .

ثانياً — بلاد المغرب الأوسط والأدنى :

### 1 — الدولة الحمادية :

بينما كانت قوات الدولة الموحدية تعمل على بسط نفوذها في الأندلس ، تفتحت أمام عبد المؤمن جبهة جديدة في المغرب الأوسط والأدنى (افريقية) . وهناك اعتبارات أوجبت عليه ضم هذه البلاد ، التي أوشكت حواضرها على السقوط في أيدي النورماند . يضاف الى ذلك ما وصلت اليه بلاد افريقية من اختلاف أمرائها وتطاول العرب من بني هلال وسليم بالعيث والفساد ، زيادة على استيلاء النورماندين على سواحل افريقية .

وقد استغاث المسلمون بهذه الثغور بالخليفة عبد المؤمن ولم يكن هناك من سبيل الى انقاذ هذه الثغور من يد الصليبيين دون الاستيلاء على مملكة بني حماد لأنها الفاصل بين دولة الموحدين وافريقية التي اشتد عليها خطر النصارى فجهز أسطولاً بحرياً وخرج به من مدينة سلا في سنة 546 هـ قاصداً مملكة يحيى بن العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس الحمادي ببجاية ، فدخل مدينة الجزائر على حين غفلة ، فخرج اليه الأمير الحسن بن علي بن يحيى بن تميم وكان قد انتقل اليها بعد سقوط المهديّة في أيدي النورماندين ، فقدمه أهلها على أنفسهم فقبله علم بقدوم عبد المؤمن خرج للقاءه ، فتلقاها بحفاوة . وصحبه في غزو افريقية ثم سار نحو بجاية فأخرج يحيى بن حماد أخاه سبع للقاء حيوش الموحدين فاهزم هزيمة نكراء .



الموحدون مدينة «بجاية» دون مقاومة سنة 547 هـ . ولما رأى يحيى بن العزيز لا طاقة له بمحاربة عبد المؤمن بن علي ، فر في البحر الى صقلية بقصد الانتقال منها الى بغداد ثم عدل عن ذلك فنزل في (بونه) على أخيه الحارث ثم انتقل منها الى قسنطينة فنزل على أخيه الحسن .

وأما مسير عبد المؤمن فقد كان قلعة بني حماد معقل الصنهاجيين الأعظم . فاقتحمها عنوة وخربها وأضرم النار في مساكنها .

ولما استولى عبد المؤمن على أملاك الحمادين مثل الجزائر وبجاية والقلعة وأعمالها ، عين ابنه «عبد الله» واليا عليها . ورتب من الموحدين من يقوم بالدفاع عنها ثم ارتد راجعا الى مراكش .

وكان الأمير الحمادي يحيى بن العزيز قد نزل عن قسنطينة لعبد المؤمن بن علي أن يؤمنه على حياته ، فأمنه واصطحبه معه الى مراكش في سنة 547 هـ . ثم انتقل يحيى الى مدينة «سلا» سنة 558 هـ . وهي سنة وفاته .

## 2 — الدولة الزييرية :

قامت الدولة الموحدية على فكرة الجهاد في سبيل إعادة مجد الاسلام الأول ، ولم يكن استيلاء عبد المؤمن على مملكة المرابطين بالمغرب والأندلس هو الغاية النهائية التي يصبوا اليها الموحدون .

بل كانت خطوة أولى في سبيل تكوين خلافة اسلامية فنية في الزحف الصليبي في المشرق والمغرب .

وكان الأمير الزيري الحسن بن علي قد سحب عبد المؤمن أسلفنا غزوته الأولى الى افريقية ، كما صحبه في عام 554 هـ في غزوته الثانية .

بينما كان عبد المؤمن في طريقه الى مراكش بلغه وهو في متيجة خبر قيام عرب الأثيج ورياح وزغبة في سطيف بالثورة على ابنه عبد الله ، وعزمهم على إعادة دولة بني حماد . فأرسل اليه مددا ، والتقى عبد الله بن عبد المؤمن بهؤلاء الأعراب في سطيف . ونشبت معركة عنيفة هزم فيها الأعراب وأعلنوا خضوعهم للموحدين ، وقدم اليه وفد من كبارهم طائعين فأكرمهم ، وأعادهم الى افريقية ، وكان لذلك أكبر الأثر في دخول العرب في طاعته ، فاتخذ منهم جندا ، ثم استنفرهم الى الجهاد بالأندلس فاستجابوا له وأدخلهم بها .

وفي هذه الأثناء كان عبد الله بن عبد المؤمن قد خرج في جيش كبير من المصامدة والعرب ، ونزل على مدينة تونس في سنة 552 هـ . فحاصرها وقطع أشجارها ، وكانت تونس تحت حكم بني خراسان ، خرج أهل تونس لمقابلة الموحدين . وانضم اليهم محرز بن زياد أمير بن علي من بطون رياح هو وقومه من العرب وهزموا الموحدين .

وعاد عبد الله بفلول أصحابه الى بجاية ، ومن بجاية كتب الى عبد المؤمن يخبره بذلك .



وفي فاتح شوال سنة 553 هـ/1158 م . غادر عبد المؤمن مدينة «مراكش» . بعد أن استخلف عليها ابنه الأمير «علي» و «أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي» وخف إلى تونس بجيوش جرامة وصلتها في شهر صفر سنة 554 هـ . ففتحتها عنوة ، وعرض عبد المؤمن على النصارى واليهود الاسلام أو القتل ثم غادر تونس متجها إلى «المهدية» لتطهيرها من النصارى ، فوصلت جيوشه وأساطيله في شهر رجب سنة 554 هـ/1149 م ، ولم تكن المدينة يسيرة المنال ، فقد كانت محصنة تحصينا طبيعيا يحميها البحر من ثلاث جهات ، كما أن أسوارها قوية ومتينة .

وحين شعر النصارى باقتراب الموحدين من المهدية ، أخلوا «زويلة» — ضاحية المهدية الشمالية — وأمروا سكانها بدخول المهدية ليحتموا بها ، فأسرع عبد المؤمن إلى احتلال «زويلة» التي امتلأت بالموحدين ، والعرب والصنهاجيين .

وابتدأ الموحدون ينازلون النصارى بالمهدية ، ويحاولون اقتحامها بدون جدوى ، لشدة مناعتها ، وكان النصارى يخرجون لمقاتلة الموحدين بين وقت وآخر فينالون منهم ويعودون سريعا إلى مدينتهم ، فأدرك عبد المؤمن أنه لا سبيل إلى اقتحام «المهدية» إلا بضرب حصار شديد عليها والصبر والمطاوله وأمر بجمع الأقوات الضرورية لهذا الحصار الطويل .

وكان عبد المؤمن أثناء حصاره هذا قد بعث ابنه عبد الله لمحاصرة قابس ، فاستولى عليها من بني كامل ورياح ، كما استولى على قفصة من بني الورد . والأريس من بني فتاتة العرب . وفي مدة قصيرة فتح طرابلس وبلاد الجريد كلها .

وكان لأخبار فتوحه ، وطول الحصار على المهدية أثر كبير في زعزعة ايمان النصارى المحاصرين ، على الرغم من أن الملك «وليم» قد أرسل إلى المهدية أسطولا بحريا ضخما لانقاذها . إلا أنه هزم على يد قائد الأسطول المغربي ، «أبي عبد الله بن ميمون» فقرروا الاتصال بالخليفة عبد المؤمن لطلب الأمان والانسحاب ، فقبل وأمر بتجهيز السفن الموحدية لنقل النصارى إلى بلادهم سالمين . وكان قرارا حكيما ، فقد قرر «وليم» من ثم صقلية قتل جميع المسلمين ببلاده إذا أقدم عبد المؤمن على قتل نصارى المهدية .

هكذا دخل عبد المؤمن مدينة «المهدية» ظافرا في يوم عاشوراء من محرم سنة 555 هـ/1160 م .

وظل عبد المؤمن بمدينة المهدية نحو عشرين يوما يرتب أمورها وعين على ولايتها أبو عبد الله بن محمد بن فرج الكومي يعونه ملكها السابق الحسن بن علي الصنهاجي . وبدون شك في تحرير المهدية من النصارى ، وتطهير بلاد المغربين من أيديهم منهم ، على يد «عبد المؤمن بن علي» يعتبر من أهم القادة الخالدة التي خلدت «عبد المؤمن» ورشده أن يكون له



موحد بلاد المغرب لأول مرة في تاريخ المغرب منذ افتتحها العرب . واستحق لقب مؤسس دولة الموحدين .

ثم عاد عبد المؤمن بعد ذلك الى مراكش وأقام بها بقية سنة 555 هـ . حتى سنة 556 هـ . وبلغه خبر هجوم ابن همشك وابن مردنيش ومداد الأقرع على اشبيلية مع حشود كبيرة من النصارى ، وأن ابنه يعقوب قد هزموه . وقتل في تلك المعركة كبار قادة الموحدين أمثال محمد بن عمر الصنهاجي ويحيى ابن أبي بكر بن الجبر ، وعمر بن ميمون الهرغي . كما وصلته الأخبار بهزيمة ولده أبي سعيد عثمان في غرناطة . فخرج عبد المؤمن الى سلا ، بعد أن أعد جيشا ضخما للجهاد . وجاز الى جبل الفتح وسارت عسكره الى غرناطة ففر ابن مردنيش الى محلته بحدرة وابن همشك الى شقورة ودخل الموحدون غرناطة ، ثم عاد الخليفة الى سلا ، حيث مرض ، وتوفي في 27 جمادي الثانية سنة 558 هـ ، ودفن في مدينة تينملل بجوار قبر المهدي .

وهكذا استطاع هذا البطل الجزائري بفضل عبقريته السياسية والعسكرية أن يجعل من بلاد المغرب دولة واحدة تحت ظل خلافة واحدة هي خلافة عبد المؤمن بن علي أمير المؤمنين .

1 — ابن صاحب الصلاة ، المن بالأمانة .

2 — روجي لي تورنو . حركة الموحدين في المغرب ، نعيب د/أمين طيبي — تونس 1982 م ص 61 .

3 — القلوص : الناقة .

4 — الديور : الغر .

5 — الخطار : المهلك .



## الفصل الرابع الحياة الثقافية

### أ — اللغة والفقه :

شهد عصر الموحدين حركة لغوية نشيطة ، فابن تومرت كان من المهتمين باللغة العربية . وعليه سار خليفته عبد المؤمن الذي رعى ابنه يوسف تربية دينية ولغوية حتى صار من علماء اللغة ومن المتضلعين في علم النحو .

وليس أدل على عناية الموحدين بعلوم اللغة والنحو ، من أن مشاهير النحاة بالمغرب والأندلس قد ظهوروا في عصرهم .

ففي الأندلس ظهر عمر الشلوبين مؤلف كتاب « النحو في النحو » ، ومحمد بن مالك صاحب الألفية المشهورة في النحو والصرف وصاحب لأمية الأفعال .

وكان زعيم نحاة المغرب في هذه الفترة أبو موسى عيسى بن العزيز الجزولي المراكشي مؤلف الجزولية . ومصرع الجزولي .



محمد بن أحمد بن هشام اللخمي السبتي المتوفى سنة 570 هـ  
صاحب كتاب «الفصول والجمل في اللغة» .

ومن اشتهر في علم الصرف ، أبو ذر مصعب بن مسعود  
الخشني ، وكذلك الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله  
الأنصاري الذي برع في النحو والعروض وتوفى بمالقة  
سنة 585 هـ

ومن علماء الأندلس محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف  
الذي درس على أقطاب عصره فبرز في علم اللغة والبلاغة .

## ب - الأدب

ازدهرت الآداب في عصر الموحدين ، فخليفتهم كان في  
مدينة هؤلاء الأدباء ، وبالتالي طبع الدعوة والدولة بطابع العلم  
والآداب من أول يوم قامت فيه . فقامت على التدريس والخطابة  
لشرح الدعوة ونشرها بين القبائل . فالمهدي مثلاً جند طائفة  
مختارة من تلامذته ليث ونشر مبادئه ، كان من بينهم عبد المؤمن  
بن علي ومحمد الطاهر ، وأبو حفص عمر المختار ، فكان هؤلاء  
كفلاء باللغة العربية .

وكان عبد المؤمن مؤسس الدولة طاهراً وأزهياً ونافذاً . وقيل  
أنهم وضعوا دستور العلم والآداب ، وتدارى العلماء في ميادين  
العلم والبلاغة وبالأخص في رعاية وتنشيط من طيف الخلفاء ،  
ومن أبناء العرب وتلامذتهم أبناء الأندلس لأولى مرة في التاريخ .

## ج - النثر

كانت الخطابة هي أول أداة استعملها الموحدون — في نشر  
القول — في نشر الدعوة الموحدية . فمن خطب ابن تومرت  
تلك التي ألقاها في الموحدين فقاموا بعد سماعها بمبايعته ، وكان  
على رأس المبايعين «عبد المؤمن بن علي» ومما قاله ابن تومرت في  
أحدى خطبه مندداً بعلماء المرابطين الذين عارضوا دعوته :  
«واعلموا — وفقكم الله — أن الجسامين والمالكين ، وكل من  
نسب منهم إلى العلم أشد في الفساد عن سبيل الله من الجاس  
اللعين ، فلا تلتفتوا إلى ما يقولون فإنه كذب وبهتان وإغراء على  
الله ورسوله» .

والظاهر أن الكتابة النثرية كانت في عصرها الذهبي في عهد  
عبد المؤمن بن علي . فقد جمع المستشرق الفرنسي «لوفي  
بروقنسال» رسائل الموحدين التي بلغت سبعة وثلاثين رسالة  
من بينها ثلاث وعشرين كتبت في حياة عبد المؤمن ومن أشهر  
كتابه نذكر : أبو جعفر بن عتيقة ، وأخوه عتيق بن عتيقة .  
وأبو الحسن بن عياش وأبو الحكم المريني ، وأبو القاسم  
القالي .

ومن رسالة أبي جعفر بن عتيقة على أساس الخطبة عبد المؤمن  
إلى الموحدين بالأندلس نقبس منها هذه الفقرة : «... ولا  
اتصل بنا — وفقكم الله تعالى — أن من لا يقف الله وحده .  
ولا يراقبه في كبيرة يغشاها وتغشاها ، ولا يؤمن يوم الحساب به  
أذاعه من المنكر وأفشاه ، ويتسلطون بهوتهم على الأمور



والله أعلم .. « وهذه الرسالة الطويلة تشتمل على كثير من الصفات  
التي توجه الدولة والقائمين بشؤون الحكم بالأندلس ، وبصفة خاصة  
إلى العلماء الذين هم الغيرة على الحق .

ومن الكتابات التي ظهرت في هذا العصر ، الرسائل  
الأخوانية ، ومن ذلك رسالة عيسى بن عمران التسولي ، التي  
كتبها إلى ولده إذ يقول : « إلى ولدي .. هداه الله وصاته ،  
وجعله بالعلم والتقوى وزانه ، كتبت اليكم عن اشتياق كثير ،  
ومشقة له تعالى تنبئ الأمور ، ويتكاثف السرور وإذا ما  
وجدتكم عن ما أحبه من أدوات الحفظ والأداء ، والبرم آداب  
«علاء حاربتكم بما يرضيكم وما يريد على أقصى تمنيكم ..  
الح .. »

وظهرت أيضاً رسائل التوقيعات ، ومنها توقيع عبد المؤمن على  
قصيدة الكاتب أبي جعفر بن عطية الذي أرسل وهو في  
السجن قصيدة يستعطف بها الخليفة لعله يحظى بعفوه ،  
ومطالعها :

عطفا علينا أمير المؤمنين فقد

بان الغزاء لفرط البث والحزن

فلم يستجيب له عبد المؤمن ، ووقع على القصيدة بالآية  
التي هي : « الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين » .

كما ظهر أيضاً من فروع الشعر « المناظرات » وكان أول مناظر  
في التوحيد بينهما المهدي بن تومرت ، الذي ناظر علماء

المراطين وتغلب عليهم في مجلس الأمير علي بن يوسف . ثم  
نظير هذا الفن في عهد عبد المؤمن الذي كان عصر جدال  
طويل بين الموحدين وبين المالكيين . وابتدع أحد العلماء  
بالأندلس وهو أبو عبد الرحمن بن طاهر نوعاً جديداً من المناظرة  
الخيالية . وهي مجادلة بين النفس المصترفة وبين النفس البدوية ،  
ويقسم ابن طاهر مناظرة بين النفسين تنتهي بانسحاب فكرة  
المهدوية .

وأخيراً سادت فنون الشعر التأليفي ، فظهرت مؤلفات عامة  
في التاريخ والفلسفة والعلوم الدينية والأدبية .

#### د - الشعر :

تقدم بعض النماذج التي تقدم لنا صورة تقريبية عن حال  
الشعر في هذه الفترة في تلويح الدولة الموحدية .

فمن شعر ابن تومرت مراحياً نفسه قوله :

أخذت بأعضادهم إذا نأوا      وتسمع وعظا ولا تسمع  
فكم أنت تنهي ولا تنهي      وخلفك القوم إذ ودعوا

ومن شعر الخليفة عبد المؤمن قوله :

وحكم السيف لا تعبأ بعاقبة  
وخلفها سيرة تبقى على الخلف  
فما تنال بغير السيف منزلة  
ولا ترد صدور الجبل بالركب



وهذان البيتان يذكران بقول أبي تمام من مطلع قصيدة مدح  
بها المعتصم العباسي عندما فتح مدينة العمورية :

السيف اصدق أنباء من الكتب  
في حده الحد بين الجد واللعب  
بيض الصفائح لا سود الصحائف  
في متونهن جلاء الشك والريب

وذكر ابن صاحب الصلاة قصيدة لعبد المؤمن ذيل بها  
رسالته الى ولده يوسف مبشرا اياه بفتح المهديّة وتحريرها من  
النصارى ، ومما فيها :

ولما قضينا بالمشارك أمرنا  
وتم مراد الله في كل مطلب  
وطهر هذا الصقع من كل كافر  
وعاد بها الاسلام بعد تغيب  
وكسرت الصلبان في كل بيعة  
ونادى منادي الحق في كل مرقب  
أشرنا بأعناق المطى اليكم  
فطار بها شأو السرور بمغرب  
فأبشر أبا حفص بنصر مؤزر  
كفيل بما تبغيه في كل مذهب

الى أن يقول :

فطوي لأهل الغرب ماذا يروونه  
من النصر والفتح المبين المقرب

وحمل لواء الشعر في عهد عبد المؤمن ، شاعران مغربيان  
شهيران هما : أبو عبد الله بن حبوس ، وأبو العباس الجراوي .  
فالشاعر أبو حبوس هو أول شاعر لزم عبد المؤمن ونال حظوته  
ورضاه . حتى أطلق عليه لقب شاعر الخلافة المهدوية . وأمر  
عبد المؤمن بأن يتصدر ابن حبوس طائفة الشعراء الذين اجتمعوا  
من أنحاء الأندلس والمغرب بجبل طارق لتهنئة عبد المؤمن بطل  
الاسلام ومنقذ المهديّة من النصارى . ومما قاله ابن حبوس في  
مدح عبد المؤمن ، وهو بمدينة الفتح :

الا أيها البحر جاورك البحر  
وخيم في أرجائك النفع والنصر  
وحاش على امواجك الحلم والحجا  
وفاض على أعطافك النهي والأمر  
وسال عليك البرخيلا كماتها  
اذا حاولت غزوا فقد وجب النصر

وقال ابن حبوس في الحث على الأسفار :

رد الطرف حتى توافي النميرا  
فرب عسيرا أتأخ السرا



وأرسل قلـوصك طورا شمالا

وطورا جنوبا وطورا دبورا

أما الخراوي . فانه يعبر فخر الدولة الموحدية ، وأكبر شعرائها والعقيدة بعض المحدثين أعظم شعراء المغرب على الأصناف ، وعمر طويلا فشهد عصر عبد المؤمن وأمه يوسف وبغفور المصور وعبد الناصر ، ولذلك لقب بشاعر الخلافة الموحدية ، وأشهد به عبد المؤمن فقال له : يا أبا العباس أنا بياهي بك شعراء الأندلس . ومن شعر الخراوي في مدح عبد المؤمن هذه الأبيات :

أعليت دين الواحد القهار

بالمشرفة والقنا الخطار

ورأى به الاسلام قرة عينه

وغدت بك الغراء دار قرار

وملكت من طرف الهداية لاحقا

طوي لمن يمشي على الآثار

وحرت معالمكم الى الأمد الذي

بعدت مسافة على الأسفار

الى أن يقول :

أحلمة المهدي دمت مؤيدا

بأنه منتقما من الكفار

ترمي شياطين الأعادي في الوغي

برجوم خيل من سماء غبار

روعت كل مروع وحفظت

تل مضيع وحيت كل ذمار

وقد استمرت هذه النهضة الأدبية بعد الخلافة عبد المؤمن بن علي . وقد تناول الشعراء المغاربة كثيرا من الأغراض الشعرية كالمدح والشعر الديني المهدوي ، ووصف المعارك ، ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم . أما الشعر الغزلي فقد نظموا فيه في شيء من التحفظ . لأن عبد المؤمن كان ينفر من الغزل المكشوف .

ولا يتسع المجال هنا للحديث عن أدب الجزائر وتونس ثم طرابلس ، والأندلس . على اعتبار أن هذه الأقاليم كانت تابعة لدولة عبد المؤمن الكبيرة .

— الشعر النسائي :

ظهر مسكرا في الأندلس ، في عهد الأمويين ، وشعر بها

بانحاز الى بعض ما ظهر في عهد عبد المؤمن بن علي .

قالت الشاعرة حفصة بنت الحجاج الركنية :

ثنائي على تلك الثنايا لأنني

أقول على علم وأمنى عن حور



نجافی بنو الدنیا مکافی فسر فی  
وما قدر مخلوق جداه حقیر

وقد ظهر في عصر الموحدين شيخ المتصوفين محي الدين بن عربي الطائفي الحاتمي . ونكتفي بهذا القدر الذي يعطي ولو صورة تقريبية عن النهضة الأدبية واللغوية في عصر الخليفة عبد المؤمن ، التي بلغت قدرا كبيرا من التطور والازدهار اذا ما قيست بعصر المرابطين .



## — العلوم العقلية

### ١ — التاريخ :

ازدهرت حركة التأليف التاريخي في عصر الموحدين ، حيث ظهر كثير من المؤرخين الذين ألفوا في علم التاريخ أمثال : أبو بكر بن علي الصنهاجي المعروف بالبيدق ، الذي وضع كتابا تاريخيا عن حركة الموحدين سماه : « أخبار المهدي بن نورث وابتداء دولة الموحدين » . وعبد المالك بن محمد بن صاحب الصلاة ألف كتابا بعنوان « المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين » . ثم علي بن محمد بن عبد الملك الشهير بابن القطان وضع كتاب « نظم الجمان » . وأرخ فيه الأخبار المهدي وعبد المؤمن ، وبعض خلفائه .

كما ظهر من المؤرخين عبد الواحد المراكشي صاحب كتاب « المعجب في تلخيص أخبار المغرب » ، إلى جانب هؤلاء المؤرخين ظهرت طائفة من مؤرخي التراجيم منهم العلامة القورع



أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال  
صاحب كتاب «الصلة» .

ومن مؤرخي الأنساب كتاب «اقتباس الأنوار» ، والتماس  
الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار» لأبي محمد بن علي بن  
عبد الله اللخمي المعروف بالرشاطي المتوفي سنة 542 هـ .

#### ب — الجغرافيا :

اشتهر المغاربة بحبهم للرحلة والاطلاع على أحوال الأمم ، لذلك  
لا نعجب اذا كثرت هؤلاء الجغرافيون والرحالة في هذه الفترة ، من  
الرحالة ابن جبير صاحب كتاب «رحلة ابن جبير» . وظهر في  
عهد عبد المؤمن أكبر جغرافي في العصور الوسطى هو الشريف  
«الادريسي السبتي» الذي تعلم بسبته ، ثم درس بجامعة قرطبة  
فأنحت له فرصة زيارة مدن الأندلس ، ثم زار أوروبا وعاد الى  
المغرب ليستأنف الرحلة فيزور مدن المغرب والجزائر وتونس وليبيا  
ومصر ، ثم الشام وآسيا الصغرى وبلاد اليونان ، وكان في هذه  
الرحلة الطويلة الشاقة يدون المعلومات الجغرافية ، والاجتماعية  
واقتصادية والاقتصادية لتلك البلدان . ولما ذاعت شهرة  
الادريسي ، أرسل في طلبه الملك النورماندي «روجار» الثاني  
ملك صقلية . فلبى الادريسي هذه الدعوة . ولما لمس الملك غزارة  
معلوماته كلفه بوضع مصور جغرافي «نزهة المشتاق في اختراق  
الأفاق» . مبين في كتابه وصف البلاد والممالك والمسالك التي  
يصل إليها من أجزاء الأرض ، ثم ذكر المسافات بالميل والفرسخ

ودرجات العرض ، كما وصف الجبال والأنهار والبحار  
والأجناس ، والحيوانات والنباتات والمعادن ، الى جانب  
الصناعات والمتاجر والديانات والمذاهب واللغات والأزياء  
والعادات والتقاليد .

ومن الكتب الجغرافية التي ظهرت في عهد عبد المؤمن  
أيضا : كتاب «الاستبصار في عجائب الأمصار» لمؤلف  
مجهول .



## دراسة الفلك والنجوم

كان علم التنجيم في الدولة المرابطية يلعب دورا هاما في حياتها العلمية . فقد كان رئيس مجلس علماء المرابطين «مالك بن وهيب» حزاء ينظر في النجوم . وحينما ظهر ابن تومرت ، فشرح للأمير بأن الكهان يتحدثون بظهور ملك بالمغرب ، فلعله هو الملك الذي عناه الكهان .

والمهدي ابن تومرت نفسه ، يعتبر من أئمة التنجيم في عصره ، فقد اختار تلميذه «عبد المؤمن بن علي» واصطفاه من بين تلاميذه ليكون خليفته طبقا لنتائج علم التنجيم .

يقول المراكشي في هذا : « فنزل ابن تومرت — وهو آت من المشرق — بضیعة يقال لها ملالة ( بالقرب من بجاية ) وبها لقيه عبد المؤمن بن علي وهو اذاك متوجه الى المشرق في طلب العلم ، فلما رآه محمد بن تومرت ، عرفه بالعلامات التي كانت عنده ، وكان ابن تومرت هذا أوحده عصره في علم خط الرمل مع أنه وقع



بالمشرق على ملاحم من عمل المنجمين وجغور من بعض خزائن  
خلفاء بني العباس وأسله الى ذلك كله فوط اعتنائه بهذا  
الشأن» .

ومن علماء الفلك المشهورين في عصر الموحدين ، البتراجي  
المراكشي الذي وضع رسالة عن الأجرام السماوية ، ترجمها  
الأرسون وطبعوها وانتفعوا بها في بدء عصر النهضة الأوربية  
الحديثة ، ثم عبد الله بن محمد بن عبد الملك المالكي الفاسي  
وغيرهم كثير .

#### م — الفلسفة :

ولم تنل الفلسفة في عهد المرابطين العناية تذكر بحجة أنها عثر  
الى الاتحاد وتفسد العقيدة ، ويدعمون رأيهم بالسلف الصالح من  
الأئمة أمثال مالك بن أنس الذي كان يفر من تأويل الآيات  
الغامضة ، وكذلك كل من الامامين الشافعي وابن حنبل رضي  
الله عنهما ، المذاهب التي اشتغال بعلم الكلام ، الذي هو ركن  
أساسي من أركان الفلسفة الاسلامية .

وظهور الامام المهدي ابن تومرت ودعوته التي كانت تقوم  
على مبادئ شيعية وكتب لها الانتصار على المرابطين — منذ  
ذلك انصرف سائر المغرب الى قدم المساواة مع المشرق في دراسة  
الفلسفة الكلامية . والملاحظ أن الفلسفة اليونانية لم يقدر لها  
ظهور بالمغرب في عهد ابن تومرت وخليفته عبد المؤمن بن

علي . والظاهر بالذكر في هذا المجال أن يوسف بن عبد المؤمن  
الذي عين واليا على اشبيلية سنة 549 هـ . فقد اشتغل بدراسة  
العلوم المختلفة على يد علماء الأندلس . وكانت في مقدمة هذه  
العلوم الفلسفة اليونانية وخصوصا فلسفة أرسطو . وذكر  
المراكشي أن الأمير يوسف بن عبد المؤمن بعد أن درس علوم  
اللغة والنحو والحديث ، تاققت نفسه الى تعلم الفلسفة وأمر  
بجمع كتبها ، فاجتمع له ما يقرب مما اجتمع للمحكم المستنصر  
بالله الأيوبي وراح يبحث عن العلماء وخاصة أهل علم النظر الى  
أن اجتمع له منهم ما لم يجتمع للملك قبله من ملوك المغرب .

وكان من أشهر الفلاسفة الذين اصطفاهم وأخذ يطارحهم  
مسائل الفلسفة الفيلسوف «أبو بكر بن طفيل» صاحب  
رسالة «حي بن يقظان» ثم الفيلسوف العربي ابن رشد .  
وظهر الفيلسوف الصوفي يحيى الدين بن عربي متأثرا بمبادئ ابن  
تومرت . ونكتفي بذكر هؤلاء الفلاسفة دون التعرض لنتاجهم  
الفكري ، لأنهم ظهروا في عهد الخليفة الثاني (يوسف بن عبد  
المؤمن) وهو خارج عن بحثنا .

#### و — الهندسة والحساب والجبر :

لقيت العلوم الرياضية مزيدا من الاهتمام والعناية في عهد  
الخليفة عبد المؤمن فالهندسة مثلا كانت هي الأساس المعنى  
الذي قامت عليه المنشآت المعمارية ، الدينية منها والمدنية  
والحربية .



وقد دعت الضرورة الى هذا الفن خصوصا عندما أصدر عبد المؤمن أوامره بمسح جميع الأراضي من برقة شرقا الى المغرب الأقصى غربا لتسهيل فرض الضرائب على هذه الأقاليم .

وكأن من أشهر المهندسين المعاصرين في عهد عبد المؤمن ، المهندس الحاج يعرب الملقب ، والمهندس ابن جاسة الذي يعتبر واحدا من بين المهندسين الذين أشرفوا على بناء مدينة جبل طارق ، وأما عن الحساب فقد كان مازده دراسية . لذلك احتاجت الدولة الى هؤلاء المحاسبين خصوصا في المحاكم والتركات وغيرها .

ومن أساندة الحساب ، ابن فرصون القيسي القرطبي ( ت 601 هـ ) وله كتاب «اللباب في مسائل الحساب» ، ومنهم عبد الله بن محمد بن سهل الفرناطي ، وعبد المنعم بن محمد المراكشي .

ومن أساندة الجبر أبو عبد الله محمد بن حجاج المعروف بابن الياسمين الفاسي . فكان اماما في الجبر والمقابلة .

## الفصل الخامس

### نظام الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي

يعتبر عمل عبد المؤمن بن علي ، دكلمة للعمل الذي وضعه الامام المهدي ابن تومرت في نشر مبادئه ، وتأسيس دولة قامت على أساسه . وبلا شك فانه جمع نجاحا كبيرا في هذا المضمار ، عندما امتد بسلطان حركة الموحدين الى هذه المناطق التي ذكرناها عند حديثنا عن حروب عبد المؤمن بعدما كان هذا السلطان منحصر في الأطلس الأعلى فقط عند وفاة المهدي ومع أنه لم يتم له تحقيق مانادى به ابن تومرت بنشر عقيدة التوحيد في بلاد الاسلام جميعها ومقاتلة الرجال في فلسطين ، الا أن عبد المؤمن أوصل الدولة الموحدية الى حدود لم تتجاوزها الا قليلا طيلة مدة حكمها وخلال أيام ازدهارها بعد وفاته .

كان عبد المؤمن وفيا لمبادي أستاذه ، واستمر يخفضها ويأمر الناس بذلك ، وليس أدل على هذا الوفاء من كتاب «أعراس



يطلب» وهو عبارة عن دروس المهدي التي جمعها عبد المؤمن بنفسه . الى جانب استمراره في محاربة المنكر والأمر بالمعروف ، ومحاربة المذهب المالكي الذي تمكن من نفوس المغاربة وتعلقوا به بصفة دائمة خصوصا على عهد المرابطين « فأمر بتحقيق كتب الفروع ورد الناس الى قراءة مكتب الحديث واستنباط الأحكام منها ، وكتب بذلك الى جميع طلبة العلم في بلاد الأندلس والعودة » .

ويتعين علينا قبل أن نناقش تنظيمات الخليفة عبد المؤمن التي أحدثها في الدولة ، من أن نشير الى النظام الحكومي الذي وضع أساسه المهدي ابن تومرت لجماعة الموحدين عقب مبايعته بالمهدوية سنة 515 هـ .

راعى ابن تومرت في هذا النظام أن يمثل القبائل التي استجابت لدعوته المهدوية والتوحيدية وأظهرت استعدادها في سبيل نصرة هذه الدعوة كلما استدعى الأمر ذلك .

يتألف ذلك النظام — كما ذكره ابن القبطان — من أربعة عشر طبقة مرتبة بحسب أهميتها على هذا النحو :

— الطبقة الأولى : تمثل أصحاب المهدي العشرة الذين عرفوا باسم « أهل الجماعة » .

— الطبقة الثانية : أهل الخمسين .

— الطبقة الثالثة : أهل السبعين .

— الطبقة الرابعة : الطلبة .

— الطبقة الخامسة : الخفاف (معار الطلبة) .

— الطبقة السادسة : أهل الدار (وهم أفراد بيت المهدي) .

— الطبقة السابعة : قبيلة هرمة (قبيلة ابن تومرت) .

— الطبقة الثامنة : أهل تينملل ( بطون متعددة من قبيلة مصمودة ) .

— الطبقة التاسعة : قبيلة كرميو .

— الطبقة العاشرة : قبيلة كنفيسة .

— الطبقة الحادي عشر : قبيلة هنتاة .

— الطبقة الثانية عشر : قبائل ناصرت المهدي (رعي ليست من قبيلة مصمودة) .

— الطبقة الثالثة عشر : الخند التطوعون الذين انضموا الى قبائل مختلفة .

— الطبقة الرابعة عشر : الغرات (وهم الموالي) .

فكانت طبقة العشرة بمثابة الوزراء للمهدي باعتبارهم

الدولة الموحدية ورعي الموحدين الروحي ، وينضم هذه الطبقة

أسماء الشخصيات الهامة في الأيام الأولى : عبد المؤمن عمر

أرباج ، عمر البني ، الخ ، ويذكر كتاب (الأسباب) الصفات

الخاصة لبعض أهل الجماعة ، فقد كان عبد المؤمن يوم عمره

سرف ركوب حواد أحضر . وكان سليمان أحضر في

الرمائل . وكان عمر البني جعل لهم المهدي الخ

وظيفا الخمسين والسبعين معا ، تضاف على ذلك في

أحضرنا . وفي أيام الحرب كانت جميع الطبقات تشارك في



بقيادة المهدي ثم بقيادة عبد المؤمن فيما بعد . وظل هذا النظام قائما ، حتى انتصر عبد المؤمن على دولة المرابطين وأسقط نظامهم وقضى عن السور الذين قاموا في وجهه ثم سرع القبائل الصاعدة ، وأخذ يتوكل في الحد من وصولهم ، فظهر فرصة موت أغلب صحابة المهدي العشر وأكثر أعضاء جماعتي الخمسين والستين ، ثم عمد إلى تغيير نظام طبقات الأربع عشرة السابقة الذكر ، وصرف الموحدين ثلاث طبقات :

— الطبقة الأولى : فمن لا يزالون على قيد الحياة من صحابة المهدي العشرة ، وأهل الخمسين وأهل الستين ، والسابقين الأولين الذين سبقوا إلى مبايعة المهدي ونصرته .

— الطبقة الثانية : من الموحدين الذين دخلوا في الدعوة الموحدة بعد موقعة البحيرة سنة 524 هـ ، حتى موقعة وهران سنة 539 هـ .

— الطبقة الثالثة : هم الذين دخلوا مع الموحدين ابتداء من موقعة وهران هذا النظام الجديد الذي وضعه عبد المؤمن لقبائل الموحدين بدل على عدله لأن السابقين الأولين حذبوا بالصداقة وكذلك الذين انضموا إلى الموحدين وهم مهزومون . في موقعة « البحيرة » ثم صمدوا في فترة الصراع بين الموحدين والمرابطين ، وهو صراع انتهى تقريبا بموقعة وهران التي قتل فيها كاشفين — سلطان المرابطين — سنة 539 هـ .

ولكن حقيقة هذا النظام فهو تقويض لنظام الطغى القبلي الذي وضعه ابن تومرت .

إن تنظيم دولة واسعة الأرجاء لتشمل بلاد المغرب كلها من طرابلس شرقا إلى الأندلس غربا ، لم يكن أمرا ميسورا لعبد المؤمن من على ، لأن ذلك يتطلب مدة توحيد عدد كبير من القبائل المستقلة من جهة ، كما أن التوسعات التي أشكدها المهدي للموحدين لم تكن لتصلح الدولة الكبيرة كذلك التي أوجدتها عبد المؤمن وقد احتفظ عبد المؤمن في بداية الأمر ، بالمجلسين اللذين كان أسسهما المهدي مثل الجماعة ومجلس الخمسين الذي يضم ممثلي جميع القبائل .

ولكن عبد المؤمن بن علي أنشأ نظاما إداريا جديدا ، يتمثل في تغيير هيكل السلطة بحركة الموحدين ، إذ كانت منذ وفاة ابن تومرت عبارة عن السلطة شيوخ مجموعات القبائل الذين تجتمعهم مجالس مختلفة على اختلاف بين هؤلاء الشيوخ ، وتحت المجالس في مدى الصلاحيات التي يتستع بها كل مجلس أو كل مجموعة من الشيوخ . فقام عبد المؤمن بنقل هذا الشكل القريب من الديمقراطية في السلطة إلى سلطة قروية من سلطة الملوك ، يتمتعون فيها هو وأفراد أسرته بكل السلطة .

وقد نفذ عبد المؤمن هذا التغيير الجذري في السلطة من خلال مجموعة من الإجراءات والعمليات المتتالية . بدأت أعمال عبد المؤمن بإدخاله للقبائل العربية البدوية إلى المغرب الأقصى بعد



أن كانت مواطنها لا تتجاوز أواسط الجزائر في منطقة بوسعادة .  
وعندما هزمهم الموحدون أخذ يقنعهم بدخول المغرب الأقصى  
طوعا أو أنه أخذ ألفا من كل قبيلة من هؤلاء العرب . ولعل  
السبب الذي كان وراء هذه العملية هو الاستعانة بهم للجهاد  
في الأندلس .. والحقيقة أن السبب في استقدامهم الى بلاد  
المغرب في هذه الظروف كان الخلاف الحاد في صفوف  
الموحدين .

أما السبب الذي تورد الروايات لهذه العملية فهو أولا  
الاستعانة بهم في الجهاد في الأندلس .

ويبدو أن سبب استقدامهم في هذه الظروف الى المغرب  
الأقصى هو الخلاف الذي وقع في صفوف مشيخة الموحدين أثر  
الحملة التي قضت على ملك الحماديين وأظهر فيه أخوان من  
احوة المهدي مع بعض شيوخ آخرين عداوة سافرة لعبد المؤمن ،  
وربما أدخل هؤلاء العرب ليكونوا تحت تصرفه كقوة تدين بالولاء  
لعبد المؤمن ، يمكنه استخدامها لمحاربة أعدائه في الداخل علاوة  
على استخدامها في الجهاد بالأندلس .

#### تعيين ولي العهد :

بعد أقل من ثلاث سنوات من التمهاده على هذه القوة  
الجهادية خطا عبد المؤمن خطوته الكبيرة نحو حصر السلطنة في  
أسره . إذ عين أحد أبنائه وهو « محمد » لولاية العهد . إلا أنه  
ما هي إلا راي عدم صلاحية محمد للخلافة فأزاله من ولاية

العهد ، وعين محله أخاه « يوسف بن عبد المؤمن » وبهذا الاجراء  
يكون عبد المؤمن قد سد لأول مرة وراثته الملك ، وأدخل تعيين  
الخلفاء في الدولة .

وقد شجعه على هذا العمل شيوخ العرب . وكانت له يدود  
فعل معاكسة من طرف قبائل مصمودة ومجاهدة الكثير من  
الموحدين اياه باستكثارهم لكثير من أعدائه . بل تغالى بعضهم  
منكر في اغتياله . ولهذا الظروف الصعبة التي أحاطت به لم يجد  
مناصرا من العمل على استقدام قبيلة « كومية » من الجزائر  
ليحمي بها ظهره ، وكانت نحو أربعين ألفا .

#### تعيين الولاة :

ومضى عبد المؤمن قدما في سبيل استئثار أسرته بحكم الدولة  
والتمكن لنفسه بانيجار الموالين ، وذلك عن طريق اعطاء حكم  
المناطق المختلفة لأبنائه : « فولى السيد أبا حفص تلمسان  
وأحوازها وأصحابه أبا محمد عبد الحق واليين ، ومن الكتاب  
الفقيه أبا الحسن عبد الملك بن عياش . وولى السيد أبا سعيد  
سبتة وطنجة وأصحابه أبا محمد عبد الله بن سليمان وأبا عثمان  
سعيد بن ميمون الصنهاجي ، ومن الكتاب الفقيه أبا الحكم  
هرموس .. وولى السيد أبا محمد عبد الله بنجاية وأعمالها وأصحابه  
أبا سعيد يخلف بن الحسن .

وولى السيد أبا يعقوب يوسف اشبيلية وشلف وأحوازها .  
وولى الشيخ أبا زيد بن مجيب قرطبة وأعمالها .



ويشرح لنا الترخيم أن الأمير أسلوب عبد المؤمن العجيب  
 الذي استعمله للمعركة على الولايات سلا من شيوخ  
 الموحدين فيقول : « كان يتعذر على عبد المؤمن أن يعزلهم فأخذ  
 أولادهم وتركهم عنده يشتغلون في العلوم فلما تمهروا فيها وصاروا  
 يقضون بهم قال لأبنائهم . اني أريد أن تكونوا عدي أسديين  
 بكم على ما أنا بصددده ويكون أولادكم في الأعمال لأنهم علماء  
 فقهاء فأخذوا إلى ذلك وهم فرحون مسرورون . فولى أولادهم  
 ووضع عليهم بعضهم من بعض عليه فقال اني أرى أنرا  
 عظماء قد وعدهم فارقتم فيه الحزم والأدب فقالوا : ما هو ؟ فقال  
 أولادكم في الأعمال وأولاد أمير المؤمنين ليس لهم منها شيء مع ما  
 فيهم من العلم وحسن السياسة واني أخاف أن ينظر في هذا  
 فيسلط منزلتكم عنده . فعملوا صدق القائل . محضروا عبد  
 المؤمن وقلوا نحب ان نستعمل على البلاد السادة أولادك . فقال  
 لا أفعل . فلم يوافقوا حتى فعل ذلك لهم أسواقهم أبناء » .

ويصف لنا صاحب كتاب « الحلل الموشية » أن ما ذكره ابن  
 الأثير من أن عبد المؤمن بعد ما عين أولاده على الولايات سعى  
 لتأديبهم أبناء شيوخ الموحدين . وفي كل ولاية يوجد كائنا كانت  
 السيد والشيخ . أن هذا التعاون الذي بين أولاد الأسرة الحاكمة  
 وشيوخ الموحدين أصحاب المهاري وأولادهم هو الطابع المميز  
 للمنظمات الإدارية في الدولة الموحدية على عهد عبد المؤمن بن  
 علي .

ويتضح مما سبق ذكره أن الخليفة عبد المؤمن كان متفهم  
 بارعاً ، فقد جعل الشيوخ حوله كمستشارين له . وربما نحس  
 بذلك استغلالهم في المناطق لو أقاموا فيها ونحكمها ، نظر  
 لذكائهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وقد هيأ لأولاد الأبناء  
 تربية مناسبة نجعلهم أهلاً للقيام بمهامهم في الحكم وهي مهام  
 إدارية وعسكرية وثقافية ، عن طريق مؤسسة الاطارات في وقتنا  
 الحاضر ، وهي مؤسسة أو مدرسة نسهر على تكوين الطلبة .  
 والطلبة صنفان حسب قول عبد الواحد المراكشي . فهناك أهل  
 كل من الأقطار المختلفة ، وخاصة أهل النظر ، وهم يستمدون  
 من مناطقهم ليحضروا مجلس الخليفة ويسمون بطلبة الحضر .  
 أما الصنف الآخر فهو ممن عني بالعلم من الموحدين  
 ويسمون طلبة الموحدين ( عبد الواحد المراكشي - المعجب  
 عن 342 ) .

وعلى الصنف الأخير تركز جهد عبد المؤمن لربطهم بشخصه  
 عن طريق التربية والتكوين اللذين يتحدث عنهما صاحب كتاب  
 « الحلل السندسية » بقوله : « وكان يدخلهم كل يوم جمعة بعد  
 الصلاة داخل القصر فيجتمع الحفاظ فيه وهم نحو ثلاثة آلاف  
 كأنهم أبناء ليلة من المصاورة وغيرهم قصد بهم سرعة حفظ  
 والتربية على ما يريد فيأخذهم يوماً لتعليم الركوب ويوم يدرسون  
 بالقوس ويوما بالعلوم في بحيرة صنعها خارج بستانه ويوم  
 يأخذهم بأن يجذفوا على قوارب وزوارق صنعها لهم في بستانه » .







الى تواجدهم فاجتمعوا بسبب وكانوا يترددون يوم ذواتهم عيدا من  
الاعوام . فوجدوا عند المؤمنين في المنطقة الدرية وجعلتهم في بيوتهم  
في تلك المرحلة ففرهم من قسده وجعلهم يتألفوا يركبون في ظهره  
ويجولون على راسه ويضربون من يديه اذا خرجوا .

وكان جيش عبد المؤمن يطلع نحو مصر فحصلت مذبحة جلدي كذا  
الحروب الجهادية ضد الصاري .

يؤمن كما سبق ذكره أن الجيش الموحد كان يعتمد أساسا  
على التماسك فتقدم كل قبيلة ما فرص عليها من مشاة وفرسان  
عند الاستعداد العام . الى جانب نظام التطوع ، حيث كانت  
توجد أعداد ضخمة من الراغبين في الجهاد ويسمون بالمطوعة  
ومن السالك عبد المؤمن الحربية - أنه كان يدفع بالمطوعين في  
بداية المعركة قصد إلهاء العدو حتى إذا ما التقى الجيش النظامي  
بدا كسب النصر سهلا يسيرا .

وبالنسبة لدولة الموحدين من الناحية الجغرافية ، اتسع أيضا  
مدى الحروب بين الصاري في المغرب والأندلس ، وقد تعدد  
الفتن منسابة كافيًا لتأليف جيوش الحاربة التي يتطلبها الجهاد  
في سبيل الله . أحد الحبيبة عبد المؤمن في استمالة عرب بني  
هلال - كما سلفت الإشارة الى ذلك - واستطاع أن يؤلف من  
الرحل قوما بالجيش الموحد .

وكان من رأي الجيش الموحد في دفة محكمين ، لعل أهمهم  
هو الشيخ عبد الله بن عبد الله بن جميع الدعاك الذي زادها وياها

الشيخ أبو حفص عمر الملقب « بسيف الله » وعبد الرحمن بن  
رگو ، فضلا عن القادة الكبار من أمثال الحبيبة أحمد بن  
محمد ، وأبو حفص ، وأبو سعيد ، وأبو يعقوب .

وقد اشتهر عبد المؤمن بالاستماع الى آراء قادته ، ولا يفتخ  
بتجارهم في رسم خططه ، فكان قبيل الحرب يعقد مؤتمرا  
حريا لدراسة أنجع السبل الى وضع خطة الغزو ، وكسب  
المعركة .

وكانت أسلحة الجيش كثيرة ومتنوعة منها الأسلحة الفردية  
كالسيف والرمح والقوس والعصى والبلطة ، مع وسائلها الدفاعية  
كالترس والدرع والنوع الثاني هو الأسلحة والأبراج ورأس  
الكبش .. الخ .

وكان من عادة جيش الموحدين ، أثناء الغزو ، أن يشرع في  
السير بعد صلاة الصبح ، ويعلن عن ذلك بواسطة طبل  
مستدير الشكل قطره خمسة عشر ذراعا أي مايساوي 30 م  
وكان يصنع من خشب أخضر اللون مذهب ويسمع صوته على  
مسافة نصف يوم من مكان مرتفع لا ريح فيه .

وذكر أحد المؤرخين العرض العسكري الذي قام به عبد  
المؤمن في قريته «ة جرة» وقد استعمل فيه من طبل قام  
« رأيت أكبر من مني طبل يحمل لسانه » وصوت آه الأرض  
من تحته يهتر ويهتر قلعه يكدح يصعد من صلبه يهتر

وكانت الرايات تلعب فلما كبر الى فناء جيش في الحرب  
والاستعراضات فقد بلغ عدد الرايات في الاستعراض الثاني



جوالي حمادة راية . وكانت عملية العزو ، تتم في حرية  
وكثرت . فحسب رواية البيهقي فان عبد المؤمن لما عزم على فتح  
السلطنة الحمادية ، « قطع الأسفار من الطرق ومنع الا يسافر  
أحد من سلا الى مكناسة ولا من مكناسة الى فاس ، ومن فاس  
الى اللسان وشدد في ذلك » . أما المؤرخ ابن الأثير فيورد رأيا  
مساها لما قاله البيهقي يقول : « لما أراد عبد المؤمن قصد دولة  
سي حماد سار من مراکش الى سبتة سنة ست وأربعين  
( 546 هـ ) . فقام بها مدة يعمل الأسطول ويجمع العساكر  
الغريبة منه وأما ما هو على طريق نجاية من البلاد فكنت اليهم  
لنجهيزها ويكثروا على الحركة أي وقت ظلمهم والناس يظنون أنه  
يولد العيون الى الأندلس فأرسل في قطع السابلة عن بلاد شرق  
المغرب برا وبحرا ونهار من مدينة سبتة في صفر سنة سبع وأربعين  
فأرسل السير وطوى المراحل والعساكر نلقاه في طريقه فلم يشعر  
أهل نجاية الا وهو في أعمالها » .

وهبت الى عبد المؤمن ابتكار خطة حربية جديدة ، تعرف  
باسم « خطة المربع الموحد » أو « الخطة التريعية » في  
الحرب . واشتهرت كطريقة قتالية فيما بعد وأضحت عماد  
خطة الدفاع الموحد في الميدان المكشوف ، وأفادنا بوصف  
هذه الطريقة القتالية في الحرب صاحب كتاب « الحلال  
الموشية » فقلنا من أين السمع يقول موضحا أسلوب العمل  
فيها : « أن تصنع دائرة مربعة في الوسط تجعل فيها من جهاتها  
الأربع صف من الرجال ، أيديهم فيما الضوايل ، والطوارق

المانعة ، ومن ورائهم أصحاب الدروع والحراش صفا ثانيا . ومن  
ورائهم أصحاب فيها الحجارة صفا ثالثا ، ومن وراء هؤلاء الرماة  
صفا رابعا وفي وسط المربعة ترابط قوى الفرسان » . وفي قلب  
هذا المربع يستقر القائد أو الخليفة الذي كثيرا ما يقود المعركة  
بنفسه تحيط به هالة من الفرسان والفدائيين .

ومتى تم تنظيم الجيش الموحد على النحو السابق ، وتأهب  
للمقتال ضربت قبة الخليفة الحمراء في موضعها بالقلب ورفع عليها  
العلم الموحد الأبيض تحيط بها الحرس القوي من المشاة  
والفرسان .

وكانت مهمة الاشراف على الجيش الموحد — في عهد عبد  
المؤمن — تسند الى ديوانين اثنين هما : ديوان العسكر الذي  
يرأسه أحد القادة العسكريين أما الديوان الثاني فيعرف باسم :  
ديوان التمييز — وتنحصر وظيفته في اختيار الجند الصالحين  
للحرب ، وتم هذه العملية قبل إعلان الحرب أم العزوة . كما أنه  
كان ينعم بالأعطيات على الجند الذين فازوا بصلاحياتهم للمقتال .  
ويلحق بهذين الديوانين السابقين — ديوان الأستعداد الخاص  
بالجيش .

## 2 — اهتمام عبد المؤمن بالاستعراضات العسكرية :

كان الخليفة القائد من عيشه حيا عظيما . فملك كثر  
يعمل على تقوية وجهته بالعند والاعتاد للأمرين بهنئ عباد  
خاصة بالسطح ، يجعل لما فعله الأوامر من هذا الصنف



ذكره المراكشي صاحب كتاب «المعجب في تلخيص أخبار المغرب» وهو عبارة عن حديث دار بينه وبين وزيره محمد بن أبي جعفر قال : «قال : دخلت على عبد المؤمن وهو في بستان له قد أينعت ثماره ، وتفتحت أزهاره ، وتجاوبت على أغصانها أطيّاره وتكامل من كل جهة حسنه ، وهو قاعد في قبة مشرفة على البستان ، فسلمت وجلست ، انظر يمنا ويسرة ، متعجبا مما أرى من حسن ذلك البستان . فقال لي : يا أبا جعفر ، أراك كثير النظر الى هذا البستان ! قلت : يطيل الله بقاء أمير المؤمنين ، والله ان هذا لمنظر حسن فقال : يا أبا جعفر المنظر الحسن هذا ؟ قلت : نعم فسكت عني فلما كان بعد يومين أو ثلاثة ، أمر بعرض العسكر آخذي أسلحتهم ، وجلس في مكان مطل وجعلت العسكر تمر عليه قبيلة بعد قبيلة وكتيبة أثر كتيبة ، لا تمر كتيبة الا والتي بعدها أحسن منها جودة سلاح ، وفراهة خيل ، وظهور قوة ، فلما رأى ذلك التفت الى وقال : يا أبا جعفر ، هذا هو المنظر الحسن ، لا ثمارك ولا أشجارك» .

### 3 — الأسطول البحري :

اهتم عبد المؤمن بالبحرية ، ولم يكتف بما انضمت اليه من البحرية المراكشية والحمادية ، بل عمل على تطويرها وتدعيمها . فقد اهتم بإنشاء الأساطيل حتى بلغ الأسطول المغربي في عهده أربع مائة قطعة ، وكانت هذه النهضة البحرية سببا في مجد البحرية المراكشية التي ذاعت شهرتها في الآفاق ، لاسيما في عهد حفيده

«يعقوب المنصور» الذي طلب الاستعانة بأسطوله البطل «صلاح الدين الأيوبي» . وكانت قطع الأسطول الموحيدي موزعة بين أهم موانئ الدولة ، منها ثمانون بالأندلس ، ومائة بشمال المغرب ، ومائة وعشرون في المهدية ، وفي افريقية والجزائر مائة . وكانت أشهر الموانئ في هذه الفترة هي : قادس ، سبتة ، المهدية ، باديس ، وهران ، طنجة ، عنابة ، هنين . وكانت دور صناعة السفن موزعة هي الأخرى ، فنجد دار الصناعة بقصر مصمودة وتختص بصناعة المراكب والحرايق المعدة للنقل الى الأندلس . أما دار الصناعة بالحيلات قرب وادي فاس فكانت تهتم بصنع القوارب وصغار المراكب . أما أهم القطع المستعملة آنذاك فهي : المراكب — الحراقات وكانت تحمل المنجنقات — المسطحات وهي عبارة عن سفن ضخمة تجري وراء السفن الصغيرة لانقاذها في حالة الخطر — الزوارق — الشلنديات وهي سفن كبيرة لحمل الأسلحة والجنود . الطرادات وهي سفن صغيرة شديدة السرعة — الشونات وهي مراكب كبيرة تنصب فيها أبراج الدفاع .

ومن كبار قادة الأسطول الموحيدي في عهد عبد المؤمن بن علي ، عبد الله بن سليمان وكان أمراء البحر يتلقون تدريبا خاصا في التجديف وقيادة السفن قبل أن يعهد اليهم مهمة القيادة ، وكانوا يشتركون في هذا التكوين مع سائر الحفّاط الذين كانوا منهم الولاة والعمال وقواد الجيش ، وكان يجري تدريبهم في بحيرة عظيمة بقصر الخليفة بمراكش كما أسلفنا القول .



وكان الأسطول مثل الجيش قويا ، وبفضله أحرر الموحدون  
تصاراتهم بالأندلس والمهدية ، وفيه الساحل الأفريقي ، كما أنه  
كان جسرا يربط المغرب بالأندلس ، فنقل بواسطة الجنود والمؤمنين  
بالحرب العديدة

#### 4 - الوزراء

كان المهدي بن تومرت يتخذ عشرة أشخاص من تابعيه  
المخلصين بمثابة الوزراء ، وكان يطلق عليهم جماعة العشرة ، وأن  
عبد المؤمن ألغى هذا النظام كما ألغى كل الجماعات  
الاستشارية ، لذلك كان من الضروري أن يسمي شخص أو  
أكثر في إدارة دولته الواسعة

وكان أم حبيب عمير الخليلي أول من ورن للخليفة عبد  
المؤمن ، باعتباره كبير شيوخ الموحدين . ولما استقرت الأمور  
استورد عبد المؤمن كاتبه الأول أبا جعفر بن عطية وهو من أصل  
عربي ، ومثل ابن عطية يجمع بين وظيفتي الوزارة والكتابة ، إلى  
أن قتل عبد المؤمن في سنة 553 هـ مع مصادرة أمواله .

ثم عين في الوزارة - عبد ابن عطية - شخص كومي  
سعى « عبد السلام » وقد امتدت وزارة عبد السلام الكومي  
هذا إلى أن أرسل إليه عبد المؤمن من قبله حقا في  
سنة 557 هـ . وبعد انقضاء الوزارة إلى « جعفر بن عبد  
المؤمن » الذي مثل بها حتى توفي الخليفة سنة 558 هـ .

ومن بعد الوزير في عهد الخليفة عبد المؤمن يقول عبد الله  
بن سلام : « كان وزير عبد المؤمن يمثل رأس الوزارة في عصرنا

الحاضر ، إذ كان الهيئة التنفيذية للدولة . ويشرف بنفسه على  
أشغال الزين أو العدوين ( المغرب والأندلس ) ونجاية بعض  
الرجال المخلصين الذين يتولون إدارة الدولة - وكانوا بمثابة الوزراء  
في عصرنا وهم : متولي المجالي ( المختص بتحصيل الضرائب  
والجزيات ) . ومتولي النفقات والمحاسبة ( يشبه وزير المالية )  
ومتولي أعمال المستخلص وصاحب ديوان الأعمال الخيرية الذي  
يتمتع بسلطة كبيرة فهو يراقب إيراد الدولة ويشرف على الدخل  
والمصرف وله الحق في الإشراف على العمال ومحاسبتهم ، والقبض  
عليهم وله معاونون بجميع الأقاليم يسمون المشرفين ، والمشرفون  
بدورهم معاونون . مثل خازن المال ، وخازن الطعام . وكثير ما  
نعرض هؤلاء المشرفون للاتهامات والمطارادات والحساب .

ومن المناصب الكبرى أيضا - منصب صاحب الشرطة ،  
الذي كان ذا أهمية خاصة في فترات الاضطراب والفوضى . كما  
كان أداة الخليفة عبد المؤمن في إقرار العدل . وقمع الظلم ،  
والتنكيل بالخارجين على الأمن والاستقرار .

#### 5 - القضاء :

كان من المناصب الدينية الهامة في عهد عبد المؤمن بن  
علي ، وكان رئيس القضاء يعرف « بقاضي الجماعة » ويعين بقرار  
من الخليفة ، فلم يكن لأحد سلطان عليه سوى الخليفة ، ومن  
مهامه الإشراف على قضاء الأقاليم من حيث تعيين القضاة



ونقلاتهم ومحاسبتهم على أعمالهم ، وعزل المستهترين منهم . وكان الأندلسيون يستأثرون بمناصب القضاء في بلادهم ، ولذلك كان الخلفاء يعينون من فقهاء الأندلس قضاة بالمغرب في أغلب الأحيان . ولا يلقي ذلك أي اعتراض من فقهاء المغرب الذين كانوا يعترفون بأستاذيتهم في علوم الدين على وجه الخصوص . ويلحق بمناصب القضاء منصب صاحب الشورى ، الذي كان يعين فيه من الفقهاء الممتازين أيضا ، وتقتصر مهمة صاحب الشورى بإفتاء الناس مما جعل القاضي أعظم هبة منه . وهناك بالإضافة الى صاحب الشورى مساعد يدعى «صاحب الأحكام» وله الحق في ابداء الرأي في الأحكام الشرعية .

وهناك وظيفة المحتسب الذي كان يتمتع بسلط كبيرة في الأسواق فهو المشرف على صحة المكايل والموازين وعلى سلامة السلع ونظافتها وضبط التعامل . أما وظائف الصلاة فكان يرأسها «صاحب الصلاة» الذي كان يعين بقرار من الخليفة مباشرة ، وليس للولاة سلطة عليه .

وكانت مهمة صاحب الصلاة تعيين أئمة المساجد ، ومدهم بارشاداته وتفتيش أعمالهم ، والنظر في شكاياتهم . وكان يختار صاحب الصلاة من الفقهاء الخطباء ، وكثيرا ما كان يتقدم لالقاء الخطب في الجمع والأعياد بالمساجد الكبرى .

## المراجع

- 1 - ابن أبي دinar القيرواني - تونس في ذكر بلاد إفريقية وتونس - تونس 1967 .
- 2 - ابن أبي زرع - الأئمة المطرب بروض القوطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس الرباط 1936 .
- 3 - ابن الأثير - كتاب الكامل في التاريخ .
- 4 - أشباح يوسف - تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين - القاهرة 1958 .
- 5 - البيهقي (أبو بكر بن علي الصنهاجي) - أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين - باريس 1928 .
- 6 - ابن خلدون - كتاب العبر وديوان المتأخر والخير - بيروت 1959 .
- 7 - ابن خلكان - وفيات الأعيان وأنباء الزمان - القاهرة 1984 .
- 8 - سالم عبد العزيز (دكتور) - المغرب الكبير - العصر الإسلامي - القاهرة 1966 .
- 9 - السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري) - الاستفتاء لأخبار دول المغرب الأقصى - الدار البيضاء 1954 .
- 10 - ابن صاحب الصلاة - المن بالامامة على المستضعفين - دار الأندلس - بيروت 1964 .



- 11 — ابن عذاري — البيان المغرب — بيروت 1950 .
- 12 — علام عبد الله (دكتور) .
- الدعوة الموحدية بالمغرب — القاهرة 1964 .
- الدولة الموحدية بالمغرب — القاهرة 1971 .
- 13 — عنان (عبد الله) — عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس — القاهرة 1964 .
- 14 — ابن القظان — نجم الجمان (تحقيق) د. محمود علي مكي .
- 15 — المراكشي (عبد الواحد) — المعجب في تلخيص أخبار المغرب — القاهرة 1945 .
- 16 — محمد ولد دادة (دكتور) — مفهوم الملك في المغرب — بيروت 1977 .
- 17 — روجي لي تورنو — حركة الموحدين في المغرب (ترجمة د. أمين الطيبي) ليبيا — تونس 1928 .
- 18 — بورويبة رشيد — عبد المؤمن بن علي (سلسلة الفن والثقافة) — الجزائر 1976 .

## الفهرس

### الفصل الأول :

- حياته العامة ..... 5
- مولد عبد المؤمن ..... 5
- نشأته وطلب العلم ..... 8
- قصة لقاءه بابن تومرت ..... 9

### الفصل الثاني :

- نشاط عبد المؤمن الحربي في عهد ابن تومرت ..... 15
- الحرب المرابطية الموحدية ..... 15
- معركة البحيرة ورفاة المهدي بن تومرت ..... 18

### الفصل الثالث :

- الحياة السياسية والحربية في عهد عبد المؤمن بن علي ..... 23
- خلافته ..... 23
- فتوحات عبد المؤمن بن علي ..... 26



76	1 — الجيش .....
81	2 — الاهتمامات عبد المؤمن بالاستعراضات العسكرية .....
82	3 — الأسطول .....
84	4 — الوزارة .....
85	5 — القضاء .....
87	— المراجع .....

26	أولا : المرحلة الأولى : الاستيلاء على دولة المرابطين .....
28	— فتح تلمسان .....
30	— فتح فاس .....
32	— الاستيلاء على مراكش .....
34	— المرحلة الثانية : فتوح عبد المؤمن الخارجية .....
34	أولا : بلاد الأندلس .....
39	ثانيا : بلاد المغرب الأوسط والأدنى .....
39	1 — الدولة الحمادية .....
40	2 — الدولة الزيانية .....

### الفصل الرابع :

47	— الحياة الثقافية .....
47	أ — اللغة والفقه .....
48	ب — الأدب .....
49	ج — النثر .....
51	د — الشعر .....
59	6 — العلوم العقلية .....
59	— التاريخ .....
60	— الجغرافيا .....
63	دراسة الفلك والنجوم .....

### الفصل الخامس :

67	نظام الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي .....
67	— مظاهر الحكم .....
72	— تعيين ولي العهد .....
73	— تعيين الولاة .....



طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية  
وحدة الرغاية ، الجزائر  
1991